العَمَلْ فى الإسْلَامْ

دكتور
احمد ماهر البقرى
كلية الآداب - جامعة المنيا

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٤٩٣٩٤٧٢ إسكندرية

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

العمل في الإسلام

٣٣١،١٤٢
ب أ ع

الدكتور
أحمد ماهر البقري
كلية الآداب - جامعة المنيا

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٤٩٣٩٤٧٢ إسكندرية

إهـــداء

- إلى العاملين فى صمت يبتغون وجه الله .
- إلى الذين يرتفع بهم عملهم فلا يزدادون إلا تواضعا .

أحمد ماهر البقري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم : الأستاذ الدكتور حسن ظاظا

يقول مثل أوربى إن العمل هو الحرية ... ويعنون بذلك أن الإنسان الكادح المنتج الآكل من عرق جبينه هو الوحيد الذى يصل إلى مرتبة « الرجل الحر » ، إذ أن رزقه الذى يناله بعمله وكده يكون عزيزا عليه إلى درجة الدفاع عنه مستميتا إذا هو جم فيه من الخارج — بالاستعمار — أو من الداخل — بالإقطاعية والاستغلال . وبناء على ذلك فإن الإنتاج يتحرر من هذين الطفيليين الخبيثين بالقوة المتولدة فى نفس العامل حين يشعر أنه بعرقه وكده يملأ الحياة إنتاجا ويدفع عجلاتها إلى الأمام ؛ ومن هذه العزة بالحق يرفع العامل رأسه ويفتح عينيه فيستشرف آفاقا لم يكن ليراها لو ظل ناكسا مطأطئا .

وإذا كان العمل هو الحرية فإن العكس أيضا صحيح . فالبطالة رق ، والكسل عبودية ، سواء أكان معهما مال عريض أم فقر ضيق . فالبطالة مع المال يمتلىء منها الكرش ويخوى الرأس ويضمر القلب ويموت الضمير . والكسل مع السعة طريق العبودية للطعام والشراب والمخدرات والبغايا وما إلى ذلك من ألوان الضعف المتنكر فى مظهر البذخ والأبهة ، وهذا الضعف الكثير النفقات والمطالب هو بدوره طريق الانحراف والذل لمن بيده تلك الملذات ، وهنا يتدخل أعداء الله حينا وأعداء الوطن أحيانا ليبتاعوا ذمة هذا الضعيف المنحرف فتكون الردة ، والنفاق ، والخيانة للضمير وللوطن وتسليم الأمر للأعداء .

والبطالة مع الفقر عبودية أدهى وأمر . إذ هى التى تصنع الخاضعين والجبناء والحشم والأتباع ، وهى التى تدفع إلى المجتمع بجيوش اللصوص والنصابين والسفاحين والمتسولين والقوادين والمتسكعات والعاهرات .

والحرية التى فى العمل ليست حرية سلبية ، ليست حرية متعة وتنعم وإنما هى حرية إيجابية ، حرية الرسم والتخطيط ، حرية الأمل ، حرية الجهاد ، حرية تقرير المصير وتوجيه الأحداث .

والحرية والإنسانية صنوان لا يكاد يمكن فصل الواحد منهما عن الآخر ، فالإنسان المستعبد لا أثر له فى الحياة حتى يتحرر ، ولا وزن له عند الناس حتى يفلت من سلاسله ، ولا طريق له معهم حتى ينطلق من عقاله ، ولذا اشترط الدين الحنيف الحرية فيمن تناط بهم مسئولية ما من مسئوليات المجتمع مهما قل شأنها ، وجعل الكفاءة عند الزواج غير ممكنة بين الحرة والعبد .

وإذن ، فحينما يطرق باحث ما موضوع العمل ، فى مجتمع أرادت له ثورته الحرة أن يسلك فى طريق الرزق الحلال وأن تمحى منه العبودية ، بزوال الاستعمار واستئصال شأفة الإقطاع وكسر شوكة الاستغلال وتكميم أنياب رأس المال ... حينما يطرق باحث هذا الموضوع ومن وراء ثورته العظيمة هذه دين نادى بالعمل وبالحرية جميعا ، فإن هذا الباحث إنما يسير بذلك فى الطريق الطبيعية التى كان يجب أن يتجه إليها المفكر الاشتراكى المؤمن بربه ووطنه منذ أن هداه ربه إلى معرفته وأنبته وطنه فى ترابه .

ولقد انبرى لذلك البحث الطريف والضرورى فى آن واحد الصديق الأستاذ احمد ماهر البقرى ، فكان إقدامه عليه اجتهادا له به أجره عند ربه وتوفيقه فى إصابة الهدف منه إجادة وإفادة له بهما أجران إن شاء الله .

وصديقنا ماهر لمن لم يعرفه بعد شاب من خيرة من خرجت كلية الآداب . بجامعة الاسكندرية ، أتم تخصصه فى الأدب العربى وما يلحقه من الدراسات الشرقية والعلوم الإسلامية ، ثم طاحن ميدان الحياة العملية فى جمرك الإسكندرية مسلحا بأثمن ما يهب الله القائمين بهذه المسئوليات وهو ضمير حى مراقب لله ولمصلحة الوطن فى كل صغيرة وكبيرة وقد استمر مع هـــذه المهام الشاقة فى الاستزادة من ثروة الإسلام الأدبية والفكرية والخلقية وألف بحثا عن «الحماسة» نشره له المجلس الأعلى فى العام الماضى، ثم أكب على هذه الفكرة الرئيسية فى المجتمع فكرة « العمل » فقام بالدراسة المقارنة الدقيقة التى بين يدى القارىء الكريم متتبعا فيها فكرة « العمل » ومقتضياته وآدابه وعلاقته بالمجتمع من حيث إنه مجموعة من الناس لهم عقيدة يجب - إن صدقت - أن تولد شيئا ، وأن تدفع إلى إنتاج ما ، ومن حيث إنه كيان جماعى له احتياجات مادية يجب أن ينال منها كفايته بعيدا عن شريعة الغاب التى يضيع فيها الضعيف بين براثن القوى . وهكذا وقف الصديق ماهر ينظر بأنوار معرفته إلى الإسلام من جهة والميثاق من جهة أخرى مستشفا خلال ذلك ما يمكن أن يكون فلسفة للعمل من وجهتى النظر هاتين .

وإنى إذ أكتب هذه السطور ، ليسرنى أن أقول إن طريق العمل - وقد اتفقنا على أنه طريق الحرية - طويل ، وأن بحث صديقنا ماهر قد أوضح ميدانا جديرا بالتقصى والاستكشاف ولعله بدقته ونصاعة عرضه وحصافة نتائجه يكون مشجعا لغيره من الباحثين الفضلاء فى هذا الوطن الغنى بأبنائه على المضى فى إكمال الجولة فى هذا الميدان المترامى الأرجاء .

٣٠/١٢/١٩٦٤م   حسن ظاظا

مقدمة

تعرض الإسلام لعديد من السهام التى صوبها إليه الخصوم لا من أصحاب الفكر الحر الذين يحترمون حرية الكلمة ويرعون قداستها . وإنما من المستعمرين والسياسيين أذنابهم وكان أشد الطعنات وأحدها أن يرمى حينا بأنه دين التواكل والعجز لا دين العمل والسعى ويرمى حينا آخر بأنه دين الجبروت الذى لا يقوم إلا على السيف .

قولان متطرفان فى تناقضهما يترددان كيفما تقتضى المناسبة ، فإذا كانت مناسبة تسويغ الاحتلال وفرض رعاية المحتلين وحمايتهم على بعض الدول فرضا سمعنا القول الأول منهما ، أما ثانيهما فتردده أفواه المبغضين الكاشحين الذين يؤلم نفوسهم ويزعجها أن يروا الإسلام مرفوعة رايته ، خفاقة على شعوب كثيرة قد اتصلت أسبابها بالحضارة والعمران .

وقد حاولت فى دراستى أن أفند مزاعم القوم وأصحح أوهامهم لا تأخذنى فى ذلك حماسة عنترية تبعد بى عن وجــــه الحق والحقيقة معززاً الرأى بالقرآن والسنة .

وهذه الدراسة على وجازتها تناولت مباحث أربعة كبيرة ، بدأتها بسؤال : هل الإسلام دين العمل ؟ وكانت الاجابة التى ذكرتها فى كثير من الأنس بها والاطمئنان اليها أن نعم . وأكثر من ذلك فإنه يربط ربطا وثيقا بين الإيمان والعمل فكان هذا موضوع المبحث الثانى .

ولما كانت جمهرة من المسلمين تتجاذبهم عوامل شتى تغرى عدوهم بأن يرميهم

بالقصور فقد خصصت لذلك المبحث الثالث أوضح فيه أموراً ينبغى أن تعيها الأذهان لتأكيد أهمية العمل كأحد القيم الروحية التى يؤسس عليها بناء الإسلام شامخا رفيعاً . ويعين على ذلك الأسوة الحسنة تتمثل فى دعاة وزعماء مخلصين ، والدليل الثورى متمثلا فى منهج وأسلوب حياة فكان عنوان للمبحث الرابع « العمل وأسس النجاح » .

فعسى أن أكون وفقت فيما هدفت إليه ، وعلى الله قصد السبيل .

أحمد ماهر محمود البقرى

المبحث الأول

هل الإسلام دين العمل ؟

(فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل
لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر
الناس لا يعلمون .)

الروم ٣٠

١ — الدين والحياة :

لما كانت بعض آيات القرآن الكريم تذكر عن الحياة أنها لعب ولهو فقد أغرى ذلك أناسا بعدم العمل والجد ، قال تعالى : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) (١) ، وقال (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)(٢)، وقال أيضا (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم .) (٣)

ويعقب محمد فريد وجدى على الآية الأولى بقوله (إن الحكم بأن الحياة الدنيا وشئونها التى تقيم الناس وتقعدهم لعب ولهو هو كذلك فى الواقع لمن يتأمل أقل تأمل ، ولكن جمهور الناس يعيشون ولا يتساءلون عن شىء كأن هـــذا الأمر لا يعنيهم) (٤) .

والملحوظ فى تلك الآيات وأمثالها أن الله يصور حال المكذبين الذين لم

---

(١) الحديد ٢٠ (٢) الأنعام ٣٢ (٣) محمد ٣٦

(٤) المصحف المفسر ص ٧٢٢ ط . الشعب ١٣٧٧ هـ

يؤمنوا بالآخرة وما فيها من حساب (وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين .) (١) فأخذوا يعبون من ملذات الحياة عبا في غير روية أو تعقل ، فهذه الحياة ليست حياة المؤمنين الصادقين . من أجل هذا استحقت تسمية الله إياها بأنها حياة « دنيا » أي دنية لا تسمو إلى حياة المنافسة الشريفة والمسابقة بالعمل الصالح (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) (٢).

وقد تكون سميت الدنيا من الدنو أى القرب ، في مقابل الحياة الآخرة ، وفى ذلك ما يوحى بأن حياتنا التى نحيـا هي المقدمة أو الجسر الذى نعبره إلى الحياة الأخرى ، وما توصف به من لعب ولهو نسبي بالنظر إلى الحياة الآخرة ،

والذين ينكرون على الإسلام تلك الآيات فى شأن الدنيا يغفلون عن حقيقة كبرى من الحقائق التى أسست عليها الشرائع السماوية ، وهى أن الدنيا بمثابة ممر أو دار فناء أما الدار الآخرة فهى المقر أو دار البقاء ، ففى الإنجيل مثلا (٣٨ سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ٣٩ وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً . ٤٠ ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ٤١ ومن سخرك ميـــلا واحدا فاذهب معه اثنين ...) ثم ارقى المرعظة من تلك الماديات التى قد يقدر على الرضوخ لها إنسان ويتحملها إلى ما يتصل بالنفس البشرية فاستمع لمرد (٤٣ سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ٤٤ وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا

(١) الأنعام ٢٩ (٢) الحديد ٢١

لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم..)(١)

والدلالة التى تفوق غيرها المستفادة من الموعظة جميعا التهوين من شأن الدنيا وعدم الاكتراث بما تعج به من ظلم حتى يكون الإنسان روحانيا جديرا بالبقاء الأخروى أو كما تقول الموعظة (٥ : لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين .)

ولقد كان الإسلام وسطا لا ينكر الدنيا لحساب الآخرة لأنه دين الحياة فيهما معا ، وعلة خلق البشر هى العمل والامتحان فيه ، فلا بد أن نكسر رءوس الأشواك التى تعترضنا فى سبيل الآخرة يقول الله (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (٢) وفى الأثر (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .)

٣ — الحياة والعمل :

علمنا أن الدين لا يحارب الحياة بل يدعو إلى أن يعيش الإنسان حياته بالعمل الجاد المتواصل ، لأن حب العمل هو أول مظاهر الفطرة السوية فالعمل جزء من كيان الإنسان العضوى والنفسى . فمن الوجهة العضوية يهدينا أبسط التأمل إلى أن أعضاء الإنسان خلقت لتعمل فما خير أذن لا تسمع وعين لا تبصر وقلب لا ينبض ؟ بل إن حياة العضو فى استعماله لهذا كان الإنسان مسئولا عما اكتسب كل عضو منها ، يقول الله (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (٣) ، ويقول سبحانه (حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون :) (٤) ومن ثم يمنى المسلم ببدنه فيرعى

(١) انجيل متى : الاصحاح الخامس — الموعظة على الجبل .

(٢) تبارك ٢ (٣) الإسراء ٣٦ (٤) فصلت ٢٠

حثه عليه فى النظافة الخارجية والداخلية معا ، فاذا كان يعنى بأن يكون زيه أنيقا لطيفا، فكذلك ينبغى له ألا يتناول من الطعام أو الأشياء ما ليس له بحق، فان الله طيب لا يقبل إلا طيبا (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله) (١) ، (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (٢) وفى إضافة الزينة إلى لفظ الجلالة فى الآية ما يوحى بالمعنى المقصود ، فهى ليست بهرجا أو ترفا معيبا .

والإسلام إذ يدعو الى تخير طرق الكسب الشريف ، إنما يحمى الإنسان من السقوط والهلاك فى النار ، لأن (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به) كما يقول أستاذنا الرسول ، فلا يستجاب له دعاء ولا يقبل منه عمل .

ولقارىء أن يتساءل لماذا لا نكون واقعيين وندع هذه المثالية التى قلما نجدها فى حياتنا ، فليس ثمة شىء فى أعمالنا نقى خالص كله ؟ . . . وهذا صحيح غير أن وظيفة الدين ورسالة الدعاة تهدف إلى أن يعيش الناس فى مستوى أعلى من حياتهم التى يحيونها ، لهذا فهم يرشدون ولكن ذوى العزم وحدهم هم الذين يستجيبون ، أما العاجزون فيتمنون على الله الأمانى (الكيس من دان نفسه - أى حاسبها - وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) ويقول الرسول أيضا (إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى وطول الأمل .).

ومن كمال هذا الدين أن شرع الزكاة لتطهير النفس عما قد يكون علق بها من أوضار أثناء العمل ، كأن لا يؤدى متقنا أو يؤخذ عنه أجر أكثر مما يستحق ويقول الله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .) (٣)

---

١) البقرة ١٧٢   ٢) الأعراف ٣٢   ٣) التوبة ١٠٢ .

أما من الوجهة النفسية فذلك فى رضا الانسان وسخطه أو سعادته وشقوته حين يؤدى ما عليه من واجب أو يتقاعس عن أداء هذا الواجب ، والقرآن زاخر بالصور النفسية التى تصور العاملين وما هم فيه من نعيم مقيم كقوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون .) (١) هذه هى الصورة الجماعية الرائعة لأناس آمنوا وعملوا أما الصورة المقابلة فهى لأناس أجرموا فى حق أنفسهم وفى المجتمع الذى كانوا يعيشون بين ظهرانيه (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ، ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) (٢) فهذه الصورة تطلعنا على المجرمين فى ذلة غلبت عليهم فطأطئوا الرءوس لا كلام غير الدعاء الخاشع الذى نحس فيه نبرة الحزن والندم . وقد يبلغ بهم الهوس أن يستغيثوا مما هم فيه إذا لم يقض عليهم كما لم يخفف عنهم فيسترجعوا فى الحالين ، وتأمل الاستعمال القرآنى (يصطرخون) ولم يستعمل الفعل (يصرخون) فزيادة مبنى الفعل دليل زيادة معناه (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) (٣) . نعم ليس لهم نصير غير العمل ولهذا كان رسول الله يعظ ابنته وأقاربه بالعمل بقوله (اعملى يا فاطمة لن أغنى عنك من الله شيئا .)

وها هم أولئك يتلمسون الشفيع فلا يجدون ، فيتمنون أن يردوا ثانية ليعملوا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) (٤)

---

١) البقرة ٢٥ ٢) السجدة ١٢

٣) فاطر ٣٧ ٤) الأعراف ٥٣

ويتكرر ذلك منهم فيدعون الله (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) (١).

والمشاهد أننا فى حياتنا الأولى قد ينتاب المقصر منا والمسىء هذا الشعور بدرجة مخففة فيتمنى المرء لو لم يفعل ما يسبب له وخز الضمير وقلق النفس وصدق الله العظيم (وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) (٢).

وهكذا يرتبط الجسم بالنفس فيؤثر أحدهما فى الآخر ويتأثر به ، ويخيل إلى أن النفس أكثر تأثيرا فى الجسم منه فيها . نلمس ذلك فى الإنسان وقد بلغه نبأ سره فإذا هو يقفز فرحا ، وعلى العكس إذا أنبىء بما يحزنه فقد يخر صريعا ؛ فالجسم يعمل لتسعد النفس ثم يبدو أثر الحالة النفسية (السعادة مثلا) على الجسم ، فهى حلقة لا يعرف طرفاها .

بقى سؤال : هل يسعد الإنسان بالعمل إذا كان هناك من يمتص جهوده ويحاول استغلاله ؟

٣ - العمل والطبقات المستغلة :

تهمة أخرى يفتريها أصحاب المذاهب الهدامة ، فهم لكى يروجوا مذاهبهم لابد أن يقيموها على دعائم الإسلام التى يحاولون تقويضها ، فالطبعة الثانية من دائرة المعارف السوفيتية ـ المجلد الثانى من ص ٥١٦ إلى ص ٥١٩ تقول عن الإسلام فى هذا الصدد (ولقد لعب الإسلام دائما ـ شأنه شأن سائر الأديان ـ دورا رجعيا ، إذ أصبح أداة فى أيدى الطبقات المستغلة لكبح الطبقة العاملة روحيا ..) (٣).

---

(١) المؤمنون ١٠٧ (٢) آل عمران ٣٠

(٣) نقلا عن كتاب (أين نحن من الإسلام ؟) للأستاذ محمد عبد الله السمان ص ٤١ ط يوليو ١٩٦٢ .

وهذا كلام لا يقوم على الدرس والبحث الدقيق فليس فى الإسلام طبقات مستغلة كما فى القرآن (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) والتقوى مسألة شخصية بحت ، أى لا تقوم على النسب أو التمييز العنصرى مثلا وهى عمل يراد به وجه الله وحده ، يعمل المسلم غير متشدق بحسب أو نسب ، وهو إن اتخذ من حسبه ونسبه مثالا يحتذى فى العمل الصالح ، ولكنه أولا وأخيرا يحس بالانتماء إلى الاسلام لا إلى طبقة معينة تستعلى على غيرها هكذا علمنا الاسلام على لسان رسوله ﷺ إذ يقول (من أسرع به عمله لم يبطىء به حسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) .

قال عمر بن الخطاب : « لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فلا ينظر رجل إلى القرابة ، ويعمل لما عند الله فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » . (٢)

وأخذ الشعراء يتغنون بهذا المعنى الجليل . يقول عبد الله بن معاوية :

لسنا وإن كرمت أوائلنا يوما على الأحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل مافعلوا (٣)

أما جزاء الظالمين المستغلين فى أصول الاسلام ما يشيب الغراب من هول المصير الذى يختاره المستغل لنفسه بعد أن يتزود بالحيل أو النفوذ ، يقول رسول الله ﷺ : ومن كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر

---

(١) الحجرات ١٣ (٢) محمد بن سعد ـ الطبقات الكبرى ٢١٢/٣ ط القاهرة

(٣) ابن عبد ربه العقد الفريد ٢٩٥/١ ط ١٩٣٥

مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » . وفى حديث آخر سمى مثل هذا الظالم « المفلس » لكيلا يباهى أحد بماله ويفاخر به غيره فيكون ذلك مدعاة للظلم (١) ويكون مفهوم الغنى فى الاسلام بذلك أنه ليس كثرة العرض إنما هو غنى النفس والتعفف عن الانتهازية والاستغلال وغيرهما من أمراض العصر ، حتى لكان الرجل ينزل عن حقه لأخيه خشية أن تكون شابته شائبة هينة. فهذا رسول الله ﷺ يقول: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن - أى أبلغ - بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار (٢)».

فلما سمع هذا الحديث اثنان من المتخاصمين ولم يكن لكل منهما بينة على دعواه بكيا وقال كل منهما : حقى لصاحبى ، فسر ذلك الرسول ﷺ وأمرهما أن يقتسما ما كانا يدعيانه ، وأن يتوخيا الحق ، وأن يبرىء كل منهما صاحبه مما يكون قد أخذه ولا حق له فيه .

هذا قبس من الإسلام يضوىء نفوس أصحابه فيعيشون عيشة راضية لا ترهقهم وصولية أو استغلال ، فإذا كانت الدول الاسلامية التى نكبت بالاستعمار قد انحرفت عن الجادة وتركت الجهاد فى سبيل الله فما ذلك ذنب الاسلام، والشاهد الحى على ذلك جمهوريتنا العربية حين نفضت عن نفسها كابوس الاستعمار ، أخذت تذيب الفوارق بين الطبقات - ولا نقول تلغى الفوارق بين الأفراد - فلم يعد ثمة طبقة رأسمالية ذات ثراء فاحش تحار أين تنفقه وفى أى سبيل ، فتبدده خارج بلادها فى وسائل الترف المقيتة بينما فى بلادنا كثرة جائعة لا تنعم بغير

---

(١) يراجع باب تحريم الظلم .. صحيح مسلم ٥٨/٥ ومابعدها ، ١٦٠١٠/٨

(٢) صحيح مسلم ١٢٩/٥ ، البخارى ١٧٢/٣

القناعة ، قد فهمت الإسلام خطأ أنه دين التواكل وكرامة الأولياء لا دين التوكل وكرامة العمل الصالح .

وظيفة المال

ولم تكن الدولة لتصنع ذلك انتقاما وتشفيا ، وإنما تطبيقاً لروح الشريعة الغراء وسيرا بالأمور فى طريقها الطبيعى ، (١) فما خلق المال إلا لإسعاد جموع الشعب العاملة بإنشاء المدارس والمصانع والمستشفيات مثلا يسهم فى ذلك ذوو القدرة المادية لا تفاخرا أو كسبا للشهرة وإنما أداء لحق الشعب فى هذا المال ، فالمال مال الله وإنما آتاه الله الناس لينفقوه . قال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم (٢) » ، فاذا آثروا اكتنازه دون أن يؤدى عملا نافعا كان للحاكم أن يتصرف فيه بما يحقق المصلحة العامة ، فالجهاد كما يكون بالنفس حال الحرب فإنه يكون بالمال فى السلم والحرب - يقول الله : « وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم (٣) » . وفى هذا المعنى آيات وآيات ، وكذلك تجد فى الترغيب فى الانفاق والبذل آيات ذات عدد كقوله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء (٤) » . ومن المعلوم فى اللغة أن السبعة ومضاعفاتها أى سبعين وسبعمائة تفيد الكثرة

---

(١) ويصدق ذلك أيضا على التأميم ، إذ لم تلجأ الدولة إلى تأميم أى مرفق حيوى بقصد العقوبة على غير الحال فى فرنسا حين أممت مصانع سيارات رينو فى ١٦ يناير ١٩٤٥ - (المجلة عدد فبراير ١٩٦٤ مقال الملامح الفلسفية للاشتراكية العربية للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب) .

(٢) النور ٢٣ . (٣) الصف ١١ .

(٤) البقرة ٢٦١ .

الكثيرة ... «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير (١)».

واسمع لهذا الحديث (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، (٢) والفعل بصيغته تلك ليس لمجرد النصح والإرشاد فهو موجه من رئيس الدولة إلى الرعية ، ولهذا فهو أمر يجب طاعته يدل على ذلك أيضا أن الرسول أخذ يعدد من أصناف الأموال لحرصه على شيوع التكافل الاجتماعي حتى ليقول راوي الحديث وظننا أن ليس من مالنا إلا مايكفينا ، وهذا هو الظن بمعنى اليقين ففضل المال ما زاد عن حاجة صاحبه وورثته في غير غلو ذلك لأن عدم البذل يغري صاحب المـــال بالانحراف وسوء الخلق فها هو أحدهم يحاور صاحبه قائلا (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) (٣) ولم تكن العزة التي يقصدها الرجل عزة النفس إنما من قولهم عز الشيء . أي ندر فكأن الله خلقه ولم يخلق له ندا ولهذ رد عليه صاحبه بقوله (إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً ، فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك .) (٤)

حاجتنا إلى العدالة الاجتماعية

وهكذا كان المـــال الوافر دون إدارة ناجحة عاملا من عوامل الطغيان وقد

---

(١) البقرة ٢٦٥ ، والربوة هي المكان المرتفع ، وابل مطر غزير ، طل : قطرات المطر .

(٢) صحيح مسلم ٥/١٢٨ .

(٣) الكهف ٣٤ . (٤) الكهف ٣٩ .

لمسنا ذلك فى أصحاب رءوس الأموال وموقفهم من العمال . فمثلا (كان دور عبـــاس حليم فى نطاق الحركة العمالية فى بلادنا هو أخطر دور لعبته الملكية والاستعمار فى مصر ، فقد نصب هذا الأرستقراطى صاحب الدم الأزرق من نفسه زعيما للعمال ليقتل العمال فى شبرا الخيمة برصاص المدافع الرشاشة) (١) أما سباهى فقد كان دولة داخل دولة . . . لقد أرغم العمال على البقـــاء داخل مصانعه فى الاسكندرية ثلاثة أيام حينما طالبوا حقهم فى الحيـاة . وكانوا يأكلون النشا الذى يستعمل فى تبييض القمـاش واستطاع أن يمنع عن المصانع المياه والكهرباء ، لأن شركة ليبون الفرنسية كانت فى يده .. حتى إذا ما خرج العمال من المصنع بعد ثلاثة أيام فى إنهاك شديد حاصرهم الجنود وألقوا بهم فى ترعة قريبة من المصنع وقتل منهم عشرات فى ذلك اليوم الرهيب .) (٢)

ومن الطبيعى أن مستغلا بهذه الوحشية لا تنتظر منه أن يقدم خدمات للعمال (لقد ثبت أن المبلغ الذى خصصه المليونير للعلاج الطبى فى مصانعه التى تضم سبعة آلاف من العمال هو مبلغ ستة جنيهات فى الشهر .) (٣)

لقد كان الأمر إذن فى حاجة إلى تنظيم أساسى وتغيير جذرى بالرجوع إلى شريعتنا فى أصولها النقية .

يقول محمد أستاذ البشرية لأبى ذر الغفارى (ما أحب أن لى مثل أحد ذهبا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير وإن هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون الدنيا ، لا والله

---

(١) رسالة المجتمع الاشتراكى - مصلحة الاستعلامات ص ٧٩ .

(٢) رسالة المجتمع الاشتراكى - مصلحة الاستعلامات ص ٧٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٠ .

لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله .) (١)، وقد أفاد أبو ذر من هذا الدرس فتشربت نفسه هذه الروح الاشتراكية وأصبح يدعو الأغنياء إلى تحقيق مطالب الجماهير ، ووقف فى وجه معاوية بن أبى سفيان عندما رأى الناس يثرون على حساب الأمة والخليفة معاوية لا يحرك ساكناً (٢).

وكذلك وقف جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢١من مايو سنة ١٩٦٢ ليقرر (أن سيطرة الشعب على كل أدوات الإنتاج لا تستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ولاتلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الإرث الشرعى المترتب عليها ، وإنما يمكن الوصول اليها بطريقين : أولهما خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية وثانيهما - وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى إطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال .) (٣) وكذلك قال الرئيس فى إحدى خطبه إن كل من يأخذ أجراً فهو عامل (٤) من الفلاح الذى يشق الأرض إلى رئيس الجمهورية .

وكأنى بقارىء يقول إن الاشتراكية ليست هى الإسلام ، كما أن ما جاءت

---

(١) صحيح البخارى ١٢٤/٢ ، مسلم ٧٥/٣ ومابعدها .

(٢) العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة للقاضى أبى بكر بن العربى ص ٧٤ ط السلفية ١٣٧٥ هـ

(٣) الميثاق ص ٧٤ ومابعدها ط . الدار القومية للطباعة والنشر .

(٤) وهذه التسمية مستفادة من التاريخ الاسلامى . إذ كان كل من يولى عملا يسمى عاملا ، فمعاذ بن جبل كان عاملا على اليمن فى عهد الرسول، وعمرو بن العاص كان عاملا على مصر فى عهد ابن الخطاب .

إليه مصر من إعادة توزيع الثروات لا نكاد نعرفه لدى كثير من الدول الاسلامية قديماً وحديثاً . . وهذا صحيح بعض الشيء فالاسلام نظام مستقل متكامل كما أن لفظة الاشتراكية من المصطلحات الحديثة ، وقد ورد أصل اللفظة فى قول عروة ابن الورد - وكان أناس يأتمون بشعره - مرتبطة بمعنى إنسانى نبيل نحرص عليه الحرص كله فى اشتراكيتنا الحديثة :

إنى امرؤ عافى إنائى شركة ... وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى ... بجسمى مس الحق والحق جاهد (١)

ويرسم الرسول خطة العمل الاشتراكى بقوله على سبيل المثال لا الحصر (الناس شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلأ ، والنار) (٢) أى مواد الوقود بشتى أنواعها كالبترول فى حاضرنا ويأتى إليه رجل معبراً عن حاجة الناس إلى أن تكون لهم ملكية بعض الضروريات كالملح فلا يمانع الرسول فى ذلك :

فقد وفد أبيض بن حمال من اليمن على رسول الله - عليه الصلوات والتسليمات - وطلب إليه أن يقطعه ملحا ببعض الجهات فى بلاده ، فأقطعه الرسول .. فلما خرج أبيض قال رجل : يارسول إن هذا الملح بأرض ليس فيها ماء - أى من السهل استخراجه - ومن ورده من الناس أخذه ، وهو

---

(١) الأغانى ص ٢٤٥ لأبى الفرج الأصفهانى . هذبه ابن واصل الحموى . ط دار التحرير .

(٢) سنن أبى داود . جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى ١/٤٠٩ ط السنة المحمدية ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م

مثل الماء المد - أى الجارى - فقال الرسول حين سمع : ذلك فلا إذن ، وانتزع الملح من ابن حمال .

هذا الرسول هو الذى بلغ حكم الله للأنصار أن يقتسموا أموالهم مع إخوانهم المهاجرين ، ونقول بلغ حكم الله لكى تنفى أن يكون مشاركة المهاجرين الأنصار فى أموالهم بمحض اختيارهم ، فقد كان المهاجر يرث الأنصارى ، ولا إرث بغير تشريع ، ولكن الأنصار قبلوا الحكم راضية به أنفسهم ، لم يتبرموا ولم يسخطوا على الرسول ولم ينفصلوا عن الإسلام حتى استحقوا شهادة رسول الله فيهم وتقديره لهم (لو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار .)(١)

عن إبن عباس - رضى الله عنهما - (كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصارى دون ذوى رحمه للأخوة التى آخى النبى - ﷺ - بينهم ، فلما نزلت . (ولكل جعلنا موالى ...) النساء ٣٣ نسخت (٢).

وكذلك يشارك المسلم أخاه فى الأرض يزرعها ويحسن استغلالها فعن جابر ابن عبد الله أنه قال (كان لرجال فضول أرضين من أصحاب رسول الله فقال رسول الله - ﷺ - من كان له فضل أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ، فإن أبى فليمسك أرضه) (٣).

وتأمل التعبير اللطيف ، ذا المعنى البليغ « فليمسك أرضه » توبيخ لمن يدع أرضه خرابا يبابا دون الانتفـــاع بها فى حين أن أخا له يستطيع إصلاحها

---

(١) يراجع « باب من فضائل الأنصار » صحيح مسلم ٧/١٤٩، ١٧٢ وصحيح البخارى ٥/٣٧ ومابعدها .

(٢) مسلم ٥/١٣٨

(٣) صحيح مسلم ٥/١٠

وتعميرها ، فاذا أبت نفسه الشحيحة أن تتخلى عن الأرض وهى فى هذه الحالة فان رسول الله يدعو عليه بالقعود ممسكا أرضه حتى يدفن فيها . ويقول الرسول الكريم أيضا (من كانت له أرض فليزرعها فان لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها فليمنحها أخاه المسلم ولا يؤاجرها إياه) (١).

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وقائلها هو زعيم الأمة الاسلامية الأكبر محمد رسول الله ، فإذا رددها زعماء بعده فلاينبغى أن تقابل بالاستنكار والجمود مادام روعى فى توزيع الأرض وجه الحق والعدل .

وهذا عمر يشكو إليه مالك مزرعة أن المستأجر لم يدفع الايجار ، فلما استدعى عمر المستأجر علم منـــه أن الأرض أصابتها آفة ولم تنتج وله عيال يحتاجون إلى نفقة ، فنظر عمر إلى المالك ـ وهو ذو ثراء وسعة ـ قائلا : دعه مع أخاك فى مالك .

وهكذا كانت الثورة مع الفلاحين وكنا نعلم أنه لا يستطيع فرد الاقتراض من البنك إلا بضمان الأرض ، بينما السلفيات والقروض الآن تعطى لجميع الحائزين سواء كانوا ملاكا أو مستأجرين ، وأصبحت هذه السلف تعطى بضمان المحصول لا بضمان الأرض نفسها بعد أن كان ذلك فى الماضى مقصورا على الاقطاع وحده ، (٢)

ونظام التوريث مظهر من الاشتراكية فى الاسلام فى محيط الأسرة ـ نواة المجتمع الكبير ـ إذ لم يركز المال فى يد فرد أو أكثر من ذلك (وإذا حضر القسمة

---

(١) صحيح مسلم ٥/١٩ ، صحيح البخارى ٣/١٤٧

(٢) من حديث السيد / حسين الشافعى فى المؤتمر الشعبى بأسيوط فى ٦٤/٦/١٦

أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولا معروفا (١) .

وهكذا يكون المال دولة بين الناس ينتفعون به وينفعون، فينصرف كل إلى عمله عامرا قلبه بالإيمان .

• • •

سئل رسول الله - عليه الصلوات والتسليمات - : ما الإيمان ؟ قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) .(٢)

---

(١) النساء ٨

(٢) صحيح البخارى ١/ ٢٠

المبحث الثانى

الإيمان والعمل

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك
هم خير البرية)

البينة ٧

يقوم الإسلام على دعامتين كبيرتين هما الإيمان والعمل ، فالإيمان يتعمق النفس ويتغلغل فى كيان الإنسان بعد أن يقتنع العقل وتطمئن العاطفة إلى الحسيد فى فكرة ما ثم يترجم هذا الاقتناع وذلك الاطمئنان إلى عمل نافع ، وذلك طبيعى فى الشخصية السوية ، أما تلك التى تكتفى بالإيمان فهى تعيش عالم الوهم والأحلام ، وكذلك العمل دون إيمان يسنده هو عمل أعرج ، أو قل هو عمل ميت لا روح فيه ، من أجل هذا ابطلت القوانين السماوية والوضعية أن يؤخذ إنسان بشىء أكره على تنفيذه .

الإيمان بالله أول مراتب الايمان :

وأول ما يكون الإيمان أن يؤمن الإنسان بالقوة الأصلية المهيمنة على الكون تلك القوة الخلاقة العظيمة التى لا تضعف على مر السنين وتوالى الأزمنة .. الإيمان بالله ، ولما كانت هذه القوة غير منظورة فى ذاتها فإن عامة الناس لا يؤمنون بها كالأطفال لا تدرك غير الملموس المرئى أمامها ، أو تؤمن بها تقليدا ليس غـــير ، ومن هؤلاء — لا سيما الشباب - من يسهل تشكيكه فى عقيدته ولذا فيجمل بى أن أسوق حوارا أدبيا طريفا بين شخصيتين من شخصيات تمثيلية (المخرج)

لتوفيق الحكيم لدل أن يكون له صدى فى نفوس الشباب خاصة (١) .

الفتاة : فلنحاول تقريب الموضوع إلى أذهاننا ... أخبرنى أولا . . . ما هى فكرتك عن الله ؟!

المخرج : فكرتى عن الله ؟ !

الفتاة : لماذا تنظر إلى هكذا ؟ . . نعم فكرتك عن الله — أجب !

المخرج : إنى . . . إنى لم أره حتى أجيب .

الفتاة : هل من الضرورى أن تراه لتكون عنه فكرة ؟

المخرج : وكيف أكون عنه فكرة بدون أن أراه ؟

الفتاة : (تشير إلى الشاشة المختفية فى الركن) أنظر إلى هذه اللوحة إلى هذه الشاشة ... عندما تعرض عليها رواية من إخراجك . . . مثل رواية عطيل ... هل يراك الجمهور ؟

المخرج : لا بالطبع ... إن المخرج لا يظهر . . .

الفتاة : ومع ذلك يستطيع الجمهور أن يكون فكرة عنك وعن إخراجك وأسلوبك وروحك . . .

المخرج : (كمن فطن) هذا صحيح ...

الفتاة : افرض إذن أن شخصا انصرف بعد مشاهدة الرواية يقول : « لقد أبصرت بعينى ممثلين يتحركون وحوادث تتعاقب ، ولكن لم أبصر بعينى ذلك الذى يسمونه المخرج ، ويزعمون أنه هو الذى حركهم ونسقهم ودبر أمرهم ... إن المخرج هذا ..

---

(١) مسرح المجتمع ص ٢٨٩ وما بعدها ـ ط النموذجية بالحلمية الجديدة .

حديث خرافة . ماذا يكون قولك فى مثل هذا الشخص الذى ينكر وجودك ؟

المخرج : أقول إنه حمار .

الفتاة : الحمد لله .

ثم يأخذ المخرج فى تبيان دوره الأساسى الذى يدل على وجوده ، دون أن يكون معنى ذلك تنصل الممثلين من مسئولية الاتقان ، فاذا هم لم يحسنوا الالتفات إلى توجيهات المخرج كانت أعمالهم غير عجيبة وتستطرد الفتاة قائلة (كالخاطبة نفسها):

« كل هؤلاء الأطياف المتحركة على الشاشة الكبرى يجب أن يعودوا إلى عالم النور والحقيقة ليروا المخرج فى جلاله » (١) .

لمن يكون الايمان؟ وأنا أترك التعليق على هذا الحوار الجميل للقارىء الكريم وحسبى أن أشير إلى أن اكتساب الإيمان لا يكون بغير التأمل العميق والبحث الجاد وراء الحق والحقيقة ، وتقديم كل أولئك على الشكليات التى لا غناء منها .

(١) وكذلك الله ـ ولله المثل الأعلى ـ هو المخرج الأعظم الذى لا نعرفه بذاته إنما نعرفه بآياته الكبرى ، وعلينا ألا نرهق الذهن بالتفكير فيما قبل الله فليس قبل الواحد ـ فى النظر الحسابى ـ شىء يذكر ولقد كانت آيات الكون المادية باعثا الأمم البدائية على الايمان بالله وحده ، وما عبادتهم الأصنام إلا لاعتقادهم بأنها تقربهم إلى الله زلفى غير أنه بتوالى الحقب استقر فى النفوس أن الأصنام معبودة لذاتها الأمر الذى ينكره ذو الفكر الثاقب .

يقول رسول الله (ﷺ) : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله . صحيح البخارى ٤/ ١٤٩ ، صحيح مسلم ١/ ٨٣ وما بعدها

وقد جعل الشيخ محمد عبده النظر العقلى لتحصيل الإيمان «هو» الأصل الأول للاسلام، وهذا صحيح واضح حق (قال قائلون من أهل السنة: إن الذى يستقصى جهده فى الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه ومات طالبا غير واقف عند الظن، فهو ناج) (١) بهذا النظر يتجنب الإنسان التذبذب بين الإيمان والكفر كيلا يبعد عن مغفرة الله مصداقا لقوله تعالى (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم) (٢).

والإيمان أيضاً دليل العلم وسعة الأفق (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا (٣). يقول فون براون مخترع الصاروخ (كلما زدت علما وكلما كشفت آفاقا جديدة ازددت إيمانا بوجود قدرة خالقة مهيمنة على الكون، وازددت علما بأن العلم الذى أوتيته لا يعد شيئا) (٤) فأين منه المستكبرون الذين يركبون رأسهم جهلا وغباوة (قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون) (٥).

والإيمان الحق مظهر الشخصية القوية التى تواجه الأمور بصراحة وتظهر فى الناس بصراحة لا كمن قال عنهم الله (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) (٦).

---

(١) الاسلام والنصرانية - ص ٥١ - الطبعة الثامنة - دار المنار.

(٢) النساء ١٣٧.

(٣) آل عمران ٧.

(٤) من مقال حسن عباس زكى - جريدة الأخبار فى ٢٥/٩/١٩٦٢.

(٥) الأعراف ٧٦.

(٦) آل عمران ١١٩.

ذلك لأن هؤلاء المزعة نفوسهم حسرة وكمداً لا يفيدون من تظاهرهم بالإيمان شيئاً ، فهم يخدعون أنفسهم بأنفسهم (يخادعون الله ـ والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم) (١).

أما المؤمنون فهم على المبدأ دائماً لا يطيعون من دونهم ولو بجاملة (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقـــا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)(٢). وفي آية أخرى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم)(٣). فهم أسمى من أن يتساووا معهم في معترك الحياة ، فهؤلاء يسعون إلى هدف نبيل وغاية شريفة أما أولئك فإلى أغراض هابطة دنيئة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) (٤) حتى ولو كانوا آباءهم وإخوانهم إن استحبوا الكفر كما يقول الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) (٥)

وكيف يطيعونهم في غير الإيمان والإيمان نوع الفطرة السليمة ، فالله سبحانه يبين عن ذاته السنية حين يرى الإنسان منظرا حسنا فيهتف (الله) أو شيئا بغيضا فيردد (سبحان الله) أو يعترضه أذى فيصرخ (أعوذ بالله) أو كما قال الله : (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) (٦).

فكما أن الإيمان لا يحتاج إلى رخصة من بشر كفرعون الطاغية مثلا حيث

---

(١) البقرة ٩ أي يحاولون ذلك لضيق أفقهم وظنهم أنه سبحانه سينخدع كما يخدع البشر .

(٢) آل عمران ١٠٠ (٣) آل عمران ١١٨

(٤) آل عمران ١٥٦ (٥) التوبة ٢٣ (٦) يونس ٩٠

(قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ؟)(١) فكذلك الرجوع عن الإيمان انتكاس للفطرة القويمة ، وارتداد عن السلوك السوى .

التقوى والايمان :

والإنسان المؤمن يدفعه إيمانه لبلوغ أهدافه النبيلة إلى تقوى الله سراً وعلناً ، وليست التقوى المقصودة هي التقوى النظرية بالتمتمة بذكر الله ، والكلام الخلاب باللسان فحسب ، وليست هي التقوى الشكلية التي تتمثل في إطلاق اللحى ، واتخاذ لباس معين . يقول المولى سبحانه في شأن ضرورة اقتران الكلام الطيب بالعمل الصالح لكي يفيد المرء من ذلك عزة ومنعة (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (٢).

ويقول رسول الله ﷺ في شأن من يهتم بالأشكال دون الأعمال (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) .

وإنما التقوى إخلاص في العمل لوجه الله والمصلحة العامة ، وهيهات أن نشهد إخلاصاً إلا عن عمقت التقوى نفسه ، يقول سيدنا رسول الله (التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا) . ثلاثا وهو يشير إلى قلبه ، ويسأله رجل عن المحك بين ما يجمل فعله وما لا يجمل فيقول له : « استفت قلبك » . ذلك أن الإثم شيء يحوك في الصدر (٣) ويضطرم في الوجدان فيحس به الإنسان ثقيلا أما الخير ...

---

(١) الأعراف ١٢٣ وكذلك (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟ إنه لكبيركم) طه ٧١ والشعراء ٤٩.

(٢) فاطر ١٠

(٣) كما قال ابن عمر : « لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر » صحيح البخاري ٩/١

أما العمل الصالح فتخف له النفس وتسر ويشعر الإنسان بأن روحا ملائكيا قد اعتراه .

وقد يسأل قارىء : وهل ثمة إنسان مؤمن غير تقى ؟ فنقول نعم ، فهذا توجيه صريح للمؤمنين أن يتقوا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) (١). فقد يؤمن الإنسان وفى إيمانه شرك لأنه يفتقر إلى مراقبة الله فى عمله حتى لكأنه يراه فان لم يكن يراه فان الله يراه ، قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (٢) . فإيمان هؤلاء إيمان سطحى يخلو من التقوى ، هم يؤمنون بالله لأنه هو الرازق ، وبيده - سبحانه - تصريف أمورهم إذ خلقهم يسمعون ويبصرون ليعملوا ويعملوا ... ومع ذلك حين يدعون إلى أداء واجبهم نحو الله يفسونه لأنهم غير متقين ، هذا ما تشير إليه الآية الكريمة (قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أم من يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟) (٣) ومثل هذا ما تراه فى سورة سميت باسم المؤمنين (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون ؟ . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون) (٤).

فالتذكر والتقوى هى الضريبة التى يدفعها المرء لقاء ما أنعم الله عليه ، يدفعها

---

(١) آل عمران ١/٩ (٢) يوسف ١٠٦

(٣) يونس ٣١ (٤) المؤمنون ٨٤ - ٨٩

يحافظ من نفسه هو فليس لله حاجة فيها (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . .) (١) . فالمرء حين يرى الأرض الشاسعة والناس فيها فى حركة دائبة وسعى متواصل وعمل مستمر يتذكر الله القادر على أرزاقهم ثم يرتفع بصره إلى السموات العلا ويتأمل الكون بشموله وعظمته فيتقى الله فى عمله ويجمل فى الطلب ، يقول عليه الصلاة والسلام (إن الروح الأمين قد ألقى فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ، فأجملوا فى الطلب) (٢) .

من أجل هذا كانت التقوى أمارة الرشد والتعقل فى الإنسان أو كما يقول الشافعى (التقوى إنما تكون على من عقلها ، وكان من أهلها البالغين من بنى آدم دون المخلوقين من الدواب سواهم ، ودون المغلوبين على عقولهم منهم ، والأطفال الذين لم يبلغوا وعقل التقوى منهم) (٣) .

ثمرة الايمان : *

قال ﷺ : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار .) (٤)

يرشدنا الحديث إلى أمور ثلاثة يجد فيها الإنسان حلاوة الإيمان.

١ — حب الله ورسوله كأشد ما يكون الحب ، ذلك الحب الذى يتمثل فى طاعة أوامرهما .

---

(١) الكهف ٢٩

(٢) رسالة الشافعى ص ٩٠ ط. ١٩٤٠ تحقيق أحمد شاكر .

(٣) المرجع السابق ص ٥٨ (٤) صحيح البخارى ١٧/٨ ، مسلم ٤٨/١ .

* يراجع تهافت الفلاسفة ، والمنقذ من الضلال ، للغزالى .

٢ – أن يكون حب الانسان لأخيه غير مشوب بغرض مريض ، فكل ينصرف إلى عمله قاصداً وجه الله فحسب .

٣ – أن يكون قوى العقيدة ثابتا على إيمانه .

وكان من أثر هذا التوجيه أن انتصر المسلمون أو قل المؤمنون على أنفسهم وعلى أعدائهم . ذلك أن (أتعس البرية إنسان ضاع إيمانه ، يدس الموت بسمه فى حياته فيفسد عليها لذاتها ، وينغص عليها شهوتها) (١) . فما ظنك بامرأة تصاب فى أعز من لديها زوجها وأبيها وأخيها فى يوم أحد وتلبأ بذلك فيدفعها حب رسول الله ورسالته المقدسة أن تسأل : ما فعل رسول الله ﷺ فيقولون : خيراً هو بحمد الله كما تحبين فلم تقتنع بالرد وقامت لتراه وتقول : كل مصيبة بعدك جلل (٢) وهكذا أطمأنت نفسا لأنها أحبت الله وأحبت رسوله أكثر من حبها ذويها الذين كانوا يغدقون عليها .

ويحكى الرسول قصة ثلاثة نفر سدت عليهم فتحة فى غار بجبل فأخذ كل منهم يتضرع إلى الله ذاكراً عملا حسنا فعله أما أحدهم فقد أحب والديه لله لا لنفع ينتظره منهما فهما شيخان كبيران وقد تعود أن يسقيهما اللبن كل مساء ، وفى أمسية تأخر عليهما فوجدهما نائما فلم يرد إزعاجهما ووقف بإناء اللبن حتى استيقظا فى الفجر فسقاهما ثم سقى بنيه الصغار . وأما الثانى فكانت له بنت عم يحبها حبا جما فجمع لها مائة دينار ، وأراد لقاء ذلك منها فأبت وقالت اتق الله ، ولا تفض الخاتم إلا بحقه فاذا هو يستجيب لصوت الإنسانى ويبعد ابتغاء مرضاة الله .

---

(١) نقلا عن (قاسم أمين) للدكتور ماهر حسن فهمى ص٢٢٥ـأعلام العرب ١٩٦٢

(٢) سيرة النبي ٤٣/٣ ، وكلمة (جلل) ـ هنا ـ بمعنى هين . وهى من الأضداد .

أما الأخير فقد حارب فى نفسه شهوة الطمع إذ كان له أجير لم يأخذ حقه فرقا (١) من أرز فأخذ يزرعه له حتى أثمر ثمرا كبيرا فلما جاءه الأجير أشار إليه أن يأخذ بقرا كثيرا ورعاتها حتى أن الأجير قال له : أتستهزىء بى ؟ فيرد صاحبه : لا استهزىء بك فخذ ، فأخذه . بعد ذلك يحدثنا الرسول أن الله فرج لهم فخرجوا من الغار (٢).

هذه القصة لا يعنينا أن تكون حدثت فى الواقع أم لم تحدث فالغار فى الجبل إنما يرمز إلى كل ضائقة تلم بالإنسان لا ينقذه غير العمل الصالح ، وإذ نقول الإنسان لا نخص عالما أو جاهلا فكما يقول قاسم أمين (ليس الإيمان مسألة عقلية ، أو علمية ، فانا نرى بين العلماء من يصدق كما نرى بين الجهلاء من يكذب ، وإنما الإيمان مسألة شعور صرف ، شعور يجعل صاحبه يرى نفسه محتاجا إليه إلى حد أنه يستحيل عليه أن يعيش بدونه) (٣).

نعم ، وكيف يستطيع الانسان أن يعيش بدون أمن — وهو أصل كلمة الإيمان — يقول عز وجـــل (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) (٤) ويقول (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما) (٥) ويقول (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (٦).

---

(١) الفرق (بالفتح أو السكون) مكيال بالمدينة يساوى ستة عشر رطلا .

(٢) صحيح البخارى ٢/١٠٤ ، ١١٩ ، ١٣٩

(٣) قاسم أمين — الدكتور ماهر فهمى ص ٢٢٠ (٤) الجن ١٣

(٥) النساء ١٧٥ (٦) الأنعام ٨٢

ذلك بعض ما يقال فى الإيمان وصلته بالتقوى وما يسكبه فى النفس من إشراق يدفع إلى العمل الخلاق لتحقيق الخير والمحبة بين أفراد الوطن جميعا ، يقول تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (١).

ويحكى جل وعز عن الرسل جميعاً أن التقوى كانت ديدنهم ، فهم لا يفتأون يدعون الناس إليها (إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ؟) (٢). وكذلك قال لهم أخوهم هود وصالح ولوط ، وشعيب (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ؟ !) (٣) (وإن الياس لمن المرسلين ، ، إذ قال لقومه ألا تتقون ؟ !) (٤).

إذن ما سر تخلف كثير من المسلمين وعدم سبقهم فى العمل ؟ إنه للأسف عدم إدراك روح الإسلام إدراكا سليماً ، فى الإسلام مثلا دعوة صريحة إلى الإيمان بالقضاء والقدر ففهمه أناس على أنه دعوة إلى عدم التسابق ، فمهما بذلت من جهد فلن يزيد ماقسمه الله لك فهل هذا هو مافهمه المسلمون الأوائل من القضاء والقدر خاصة والدينيات عامة ؟

---

(١) الكهف ١١٠

(٣،٢) راجع سورة الشعراء الآيات ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٧٧

(٤) الصافات ١٢٣ ، ١٢٤

المبحث الثالث
المسلمون بين التقدم والتخلف

توطئــــة :

من المعلوم أن الإسلام هو خاتم الديانات ، بعد أن مرت البشرية بمراحل تشبه بالنسبة للانسان مرحلة الطفولة ثم المراهقة ثم الرجولة الكاملة ، فهو بتعاليمه القوية السمحة يتفق والمرحلة الأخيرة ، ولكن هل معنى ذلك أن تلك المرحلة بلغت أوج التقدم والعظمة ؟ الواقع أن نعم ولكن البشرية ينتابها - كما ينتاب الإنسان - فترات تضعف فيها ثم تقوى ثم لا تلبث أن تضعف لتقوى من جديد .

كذلك كان الشأن مع المسلمين تمسكوا بأهداب الدين ففتحوا الشام والعراق والهند والصين ومصر وشمال أفريقية ، ومن مصر انتقلوا إلى السودان ومن شمال أفريقيا إلى أسبانيا ثم استولوا على جزر البحر المتوسط مثل كريت ورودس وقبرص وصقلية ومن صقلية .. عبروا إلى إيطاليا ، ومن أسبانيا إلى فرنسا .. ما هذه العظمة الشامخة ... وما سرها ؟

لقد كانت العقيدة دافعا لهم إلى نشر دين الله ، فهذا عقبة بن نافع يقف على شاطىء المحيط الأطلسى، وقد بلغ آخر المغرب فخاض بقوائم فرسه فى ماء المحيط قائلا : « اللهم رب هذه الأرض لولا أنى لاأعلم وراء هذا البحر يابسة لاقتحمت بفرسى هذا الحول القابع لأنشر اسمك العظيم فى أقصى بقاع الدنيا » .

هل كان هذا مجرد كلام كما يظن المتشككون فى كل شىء حتى فى أنفسهم فلنضرب مثلا آخر على حدب الخلفاء على الرعية ، وشعورهم بالمسئولية نحوهم .

لما فتح عتبة بن فرقد أذربيجان أرسل لعمر سلتين من خبيص تلك البلاد ، فلما ذاق منهما ووجد طيب مذاقهما سأل من جاءوه بالهدية : هل أكل المسلمون فى أذربيجان من مثل ما يقدم إلى ؟ فلما جاءته الاجابة نفيا غضب غضبا شديدا ورد الهدية إلى القائد وكتب يؤنبه : (من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عتبة ابن فرقد (أما بعد . فليس من كدك ولا كد أمك ، ولا من كد أبيك ، لا تشبع مما لم يأكل منه المسلمون) .

والأمثلة أكثر من أن تحصى فى مثل هذا البحث أوضحها كتب التاريخ فلننظر إلى حاضر البلاد الاسلامية اليوم ، فرقة وانفصال وتمزق من بعض الحكام وخوف وجهل بالدين من جانب الحكام والمحكومين معا .

أما مظاهر هذا الجهل فتتلخص فى النقاط الآتية :

١ - الإيمان بالغيبيات وسيلة لرفعة شأن الانسان بالعمل وليس قعودا به عن معالى الأمور معتمدا على أن قوى خفية تحركه كأنه ريشة فى مهب الريح .

٢ - العبادة لا تنافى والعمل .

٣ - التوكل شىء والتواكل نقيضه .

٤ - الإسلام ثورة على البطالة لأنه ثورة على الفقر وثورة على المرض.

٥ - المرأة تعمل كما الرجل يعمل لكيلا تتعطل نصف طاقة الأمة.

٦ - العمل الصالح لا التعوذة .

٧ - حب الهجرة - لا القعود فى الما من - دليل علو الهمة .

١ – الغيبيات

لأمر ما خلق الله الكون ويكتنفه شيء من الغموض يدفع الإنسان إلى البحث وراء الحقيقة وهو في بحثه هذا يضل حينا ويهتدي أحيانا وفي كلتا الحالتين يجد سعادته ويستشعر لذة الحياة ، وثمة أشياء لا يعرف كنهها غير الله كما هو الأمر في الروح وسر الوجود : « ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (١) وكذلك يخبرنا الله عن عالم آخر بعيد عن المادة ، هم الملائكة فيحاول الانسان في سعيه والايمان بهم أن يتشبه بهم فيغلب عليه الطابع الروحي ، يقول تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ...) (٢) أما النبيون فهم الذين يقومون بابلاغ أحكام الله إلى الناس وهم بشر مثلنا لكي نفهم منهم ويفهموا عنا ، والكتاب أي الكتب المنزلة كالزبور لقوم داود والتوراة لقوم موسى والانجيل لقوم عيسى والقرآن للناس جميعا . وفي استعمال القرآن الإفراد هنا دليل على أنها كتب تمت كلها إلى أصل واحد وتستهدف هدفا واحدا وصدق الله العظيم (إن الدين عند الله الاسلام) (٣) كما أن لها مغزى آخر إذ استعمل الكتاب مفردا (والنبيين) جمعا لكي يدل على أن الايمان يكون بالأنبياء السابقين كلهم والعمل يكون بالقرآن وحده فهو الموجود بين أيدينا في غير تحريف أو تصحيف وهو دستور الحياة في كل زمان ومكان .

الايمان بالملائكة :

الملائكة رسل الله إلى من يصطفيهم – سبحانه – إلى الناس ، قال تعالى : (وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك) (٤) ، ويقول أيضا (الله

---

(١) الإسراء ٨٥ — (٢) البقرة ١٧٧
(٣) آل عمران ١٩ — (٤) آل عمران ٤٢

يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (١) ، (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا) (٢). ولكنهم ليسوا رسل الله إلى الناس مباشرة فهم عالم غير عالمنا وقد يكون الرسول من البشر لكى يستطيع أن يبلغهم الرسالة بأمانة ووعى أكيد يقول عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ؟ قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) (٣) . فدور الملائكة فى السماء أن يسبحوا بحمده تعالى ويستغفروا لمن فى الأرض كما قال تعالى : (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض) (٤). بل هم قوة غير منظورة لمن يؤمنون تدفعهم إلى الجهاد . قال تعالى (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ؟ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) (٥).

وفى ظنى أننا فى غير حاجة إلى ماذهب إليه السيوطى فى (أسباب النزول) إذ قال أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين ، فشق عليهم فأنزل الله هاتين الآيتين ، فبلغت كرزا الهزيمة ، فلم يمد المشركين، ولم يمد المسلمون بالخمسة. يقصد أن الله لم يمد المسلمين بالخمسة آلاف كما ورد فى الآية السابقة . وفى تفسير الجلالين أنهم (صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق ، عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم) أقول إننا فى غير حاجة إلى كل هذا التعديد بذكر عددهم واحدا واحدا وبصفاتهم ولون عمائمهم ، فهم قوى

(١) الحج ٧٥ (٢) فاطر ١

(٣) الإسراء ٩٤، ٩٥ (٤) الشورى ٥

(٥) آل عمران ٢٤، ١٢٥

لا ترى رأى العين إنما يحسها الانسان المؤمن حين يتصدى إلى الدفاع عما هو حق فتكسبه جرأة وشجاعة تكون موضع إعجاب الناس ودهشتهم فى آن . فذكر العدد فى القرآن إنما لتقريب مدى القوة فى الأذهان ، والجنود فى المعركة فى أشد الحاجة إلى معرفة عددهم وطاقاتهم لكيلا يخدعوا فى قوتهم ويشتركوا فى حرب ليسوا مستعدين لها .

من أجل هذا لم يرد فى القرآن أى وصف مادى لهم كأن يصف قاماتهم ووجوههم فهم كما فى القرآن غير مستكبرين ، مطيعون برغم شدتهم وقوتهم قال تعالى (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة ، والملائكة وهم لا يستكبرون) (١). (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم) (٢) وقد جرى الأسلوب القرآنى على وصفهم بالمذكر دفعا لأوهام الجاهلين الذين كانوا يظنون الملائكة - كآلهتهم القديمة اللات والعزى ومناة وغيرها - إناثا اتخذها الله (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما) (٣). (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) (٤) فاذا كان هؤلاء الجاحدون لا يدركون أثر الملائكة فى حياتهم فهم من باب أولى لا يؤمنون بما يكون فى آخرتهم من حساب (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) (٥) والغرض من تسمية الملائكة تسمية الأنثى هو عدم الإذعان لهم . وقد يكفى هذا الزعم وسيلة لتشكيك الناس فى الايمان بالملائكة فالمرأة بجنسها غير جديرة بأن تطاع كلك أو كنى ، فقد

---

(١) النحل ٤٩   (٢) التحريم ٦

(٣) الإسراء ٤٠   (٤) الزخرف ١٩

(٥) النجم ٢٧   (٦) الأغانى ١٦١٣٠ . كتاب التحرير

ادعت النبوة من تدعى سجاح بنت الحارث فكانت مثار السخرية لذلك يقول بعض بنى تميم (١) .

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها   وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا .

وليس بغريب من أناس لا يعترفون بتأثير الملائكة فى حيواتهم أن ينكروا أيضا البعث والحياة الأخرى كما يقول الله (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) (٢) .

اليوم الآخر

ويسمى أيضا يوم الدين ، ويوم الفصل ، والقيامة والبعث والحساب والتغابن ، وكلها مسميات لما دلالتها على طبيعة هذا اليوم فهو ليس يوما كأيامنا الحاضرة ، حيث لا سوق تقام ولا صداقة تعقد ولا شفاعة تنفع (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون(٣). إنما يتبدل فيه الحال فلا السماء هى السماء ولا الأرض هى الأرض (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار))(٤) ، (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) (٥) . وإنما هو يوم تعرض فيه الأعمال ويؤدى الجزاء دون ظلم ولو مثقال ذرة ، فقد كانت تحسب كل شاردة فى حينها (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب (٦) .

---

(١) الأغانى ص ١٦١٣ كتاب التحرير .

(٢) النجم ٢٧ ، ٢٨ .   (٣) البقرة ٢٥٤

(٤) ابراهيم ٤٨ .   (٥) الكهف ٤٧ .   (٦) غافر ١٧

والإيمان بالآخرة أمر تقتضيه طبيعة الأشياء ، فلكل بداية نهاية ، وما خلق الناس سدى لا يسألون عن أعمالهم بعد أن زودهم الله بالعقل المميز والشريعة الهادية ، هذا الإيمان لا يدفع إلى الخمول والسلبية ، إنما هو ككل إيمان لابد أن يقترن بالعمل الصالح ، فهذا عمير بن الحمام الأنصاري (١) يسمع رسول الله في بدر يقول (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) . فاذا هو ينهض يريد أن يمتع أذنه بهذا الوعد الجميل فيسأل الرسول في شيء من التلذذ بالمقام المحمود الذي ينتظره : جنة عرضها السموات والأرض !؟ فيقول الله : نعم ، فيخرج عمير تمرات كان يأكل منهن ويقول : لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة وكان منه أن رمى التمر وقاتل حتى قتل رضي الله عنه،هكذا كان الإيمان بالآخرة دافعا لمثل عمير أن يجود بنفسه ليروي شجرة الإسلام بدمه الزكي حتى تنشر ظلالها يتفيأ فيها المسلمون جميعا . فلعله يدرك أنها أعمار وأقدار تأتي بالخير كما تأتي بالشر ، وقد يكون في الشر كل الخير فلماذا يحجم وهو يؤمن بأنه (سبحانه إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (٢) .

القضاء والقدر

وهذه مسألة كبيرة لو فهمها المسلمون حق الفهم لأغنتهم عن كثير من العنت الذي يصيبهم في أنفسهم نتيجة لتواكلهم أو لعدم تيقظهم إلى ما للايمان بالقدر من أثر في هدوء النفس وراحة البال .

وهم يقولون إذا كان الله (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) (٣) أي ما هو ظاهر وما هو باطن ، فلا تفوته — سبحانه — صغيرة ولا كبيرة من

---

(١) سيرة النبي لابن هشام ٢٦٧/٢ وما بعدها ـ الموطأ ٢٨٩/٤ ط الشعب ١٩٧٠ م

(٢) مريم ٣٥ . (٣) غافر ١٩ .

أحوال الإنسان ، فهو يعلم عن الإنسان إذا كان سيسعد أم سيشقى وهو جنين فى بطن أمه فمهما عمل الانسان بعد ذلك فلن يغير شيئا مما كتب الله ، فلماذا يعمل ويجتهد ؟

وهذه نصف الحقيقة لا الحقيقة كلها ، أما النصف الآخر فهو عمل الإنسان فليس يليق بالمؤمن مثلا أن يبقى حيث الأوبئة منتشرة معللا ذلك بأنه قضاء الله، فانه إذ يفر من قضاء الله فانما إلى قضاء الله أيضا .

فالله جلت قدرته يعلم الجهود التى يبذلها الفرد ، ويعطى جزاءه حسب الجهود وما فيها من نيات طيبة . ولنضرب لذلك مثلا . أنت تعلم أن عمــــال مصنع ما يبذلون ما فى وسعهم لخدمة الجماهير والنهوض بصناعتهم طوال العام فتقول إن هذا المصنع سيحقق أرباحا طائلة . وتأتى النتيجة بما قلت.فهل كان علمك بالنتيجة هو سبب تحقيق المصنع للأرباح ؟ فكذلك الله ـ فى ظن كثير من المفكرين الأجلاء ـ يعــــلم ولكنه لا يؤثر إنسانا على الآخر فى الجزاء بعد أن نص فى القرآن الكريم على قوله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (٢)، (وهديناه النجدين) (٣) . والنجد أى الطريق المرتفع فإن طريقى الخير والشر هما واضحان لكل ذى عينين.(الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات(٤) يدركها المسلم بعقله الذى ميزه الله به عن سائر المخلوقات وجعله وسيلة لتكريمه

---

(١) غافر ١٩ . (٢) الشمس ٨ لاحظ أن الله خلق النفس قوية فى غير عوج ، والانسان بارادته يختار طريقه خيرا أو شرا (٣) البلد ١٠

(٤) تمام الحديث (. . فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان،والمعاصى حمى الله ، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه) صحيح البخارى ٧٠/٣ .

في الحياة . كما يدركها بالشريعة التي ارتضاها الله للناس نبراسا يسيرون على هديه ، فالعقل والشريعة - كما يرى البعض بحق - مثل سائق بارع يسير في ظلمات فلا تغنيه براعته القيادية عن النور لكيلا يصطدم فكذلك ليس بالذكاء وحده يستقيم أمر الإنسان . فلابد من الشريعة . فالمسئولية إذن واقعة على الناس ومن العجز أن يتخلوا عنها .

فقد أوصت الشريعة مثلا بتخير المرأة زوجا على لسان رسول الله - ﷺ - (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) . وذلك لكي ينجب الزوجان أولادا أصحاء نفسيا وجسديا ، فإذا لم يستجب الشباب لهذا التوجيه فلا يلقى اللوم على عدالة السماء ، ومع ذلك فقد رسم الاسلام للناس جميعا طريق العمل الصالح ، فإذا أدوا ما عليهم باخلاص وتقوى وجاءت العواقب لأمر ما على غير ما يحبون فلا يقل أحدهم لو أني فعلت كذا كان كذا . فإن (لو) تفتح عمل الشيطان ، لكن ليقل : قدر الله وما شاء فعل (١).

---

(١) يقول محمد - ﷺ - (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فإن « لو » تفتح عمل الشيطان) . صحيح مسلم ٥٦/٨ .

٢ ـ العبادة والعمل

(وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)
الأنبياء ٧٣

فى ذهن كثير من الناس أن العبادة شيء يتصل بالحياة الآخرة بينما العمل للحياة الدنيا فحسب ويؤسسون على زعمهم نتيجة واهية هى ألا صلة بين الاثنين. وهذا ما يخالف الاسلام أشد المخالفة ، يقول الله (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (١) ، فما شرعت العبادات إلا لتخدم العمل وكيف يبدو الإخلاص الحقيقى فى غير العمل؟

فمن يدع العمل مستغنيا بالعبادة عنه مقصر فى حق نفسه وحق الجماعة التى تتولى شئونه ، وليس له من الخير ما للعاملين ، فهذا رجل يكثر من الصيام والقيام والذكر فيحسبه قوم أفضل منهم فلما حدثوا الرسول ﷺ فى أمره قال لهم : أيكم كان يكفى طعامه وشرابه ؟ فقالوا : كلنا ، فقال : كلكم خير منه .

حقا أن العبادة عماد الدين حتى أنه لم يكن يبعث رسول حتى يأمر بعبادة الله وهذا ما يقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله)(٢). وأن الله أثنى على رجال لم تشغلهم أعمال الدنيا عن الاتصال بالله بالتسبيح وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) (٣) . كل هـــذا حق ولكن الغلو فى العبادة مما ينهى عنه الاسلام ويحارب الانقطاع لها لدرجة الرهبنة فقد جاء رجل

---

(١) البينة ٥ (٢) النحل ٣٦ (٣) النور ٣٦ ، ٣٧

إلى النبي - ﷺ - فقال : دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة و يباعدني عن النار قال : تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل ذا رحمك . وفي رواية أخرى أن أعرابيا سأله السؤال نفسه فأخبره عليه الصلاة والسلام عن الفرائض فحسب فقال الأعرابي : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه - وواضح أن شواغل الحياة هي التي دفعته إلى هذا - فلما ولى قال النبي - ﷺ - : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » (١).

فالعبادة تطهير النفس وتنوير للعقل بما يعتاده من التأمل، ولابد للنور من أن يشيع ليفيد منه الناس ، فمن الصلاة يقول الله (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (٢) . والمنكر ما لا تستريح إليه النفس من الأعمال والأقوال . وترتبط الصلاة بالصبر ، فالصلاة عبادة والصبر خلة عملية . فالانسان يصبر على أداء عمل قد طال عليه الأمد ولما ينجز . ويصبر حتى يرى نتيجة عمله . فكل ونتيجة عمل وعمت بلا ضجيج يلفت إليه الأنظار أو تثور عليه الناس . ولهذا فلا يقدر عليهما غير المؤمنين الخاشعين (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (٣) وفي آية أخرى (واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) (٤) من أجل هذا كان الرسول - وهو المثل الأعلى في العمل- يفزع إلى الصلاة إذا حزبه أمر .

ومن حكمة الصوم في رمضان تغيير العادات السيئة في الانسان وتجديد حياته بالعمل ، ولهذا يقول الرسول (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) (٥).

---

(١) صحيح مسلم ١/٣٢، البخاري ٣١/٢ (٢) العنكبوت ٤٥
(٣) البقرة ١٥٣ (٤) البقرة ٤٥ (٥) صحيح البخاري ٣٢/٣

فليس هو إذن تكاسلا وخمولا يمدح به جمهرة المسلمين . كما نرى عند صاحب « رياض الصالحين » إذ خصص بابا أسماه « فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين »(١).

أما الزكاة فإذا كانت بذلا للمال فانها تعود النفس على شيء أرقى هو بذل كل جهد صالح للمجتمع ، فتسمو بالإنسان عن أن يكون أنانيا فى عمله .

وكذلك الأمر فى الحج ، فليس شعيرة لإرضاء غرور من استطاع إليه سبيلا ليكتسب لقبا يخادع به الناس أو ايباهى بقدرته المادية ، إنما هو مرحلة جديدة يحياها الحاج تزيل آثار السوء من حياته السابقة ليبدأ العمل بأسلوب جميل يحبب فيه الناس ، وخلق أصيل يجتذب إليه جمهور المتعاملين .

٣ ـ التوكل والتواكل

الفرق بين التوكل والتواكل أن الأول لا يكون إلا على الله ، أما التواكل فهو الاعتماد على الغير . يقول الله :

(فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)(٢).

(وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)(٣) . (قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب)(٤) فتقديم الجار والمجرور فى الآيات دليل أن

---

(١) ولعله يقصد أن الضعيف فى مظهره لا ينبغى أن يحتقر لضعفه فقد يكون له فضل عند الله كما يقول سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ : (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) صحيح مسلم ٨/٣٦

(٢) التوبة ١٢٩ (٣) هود ٨٨ (٤) الرعد ٣٠

ثقتهم بالله لا يداخلها شك. كما أن إرداف كلمتى «أنيب»، «متاب» مؤكد هذا المعنى وأن الأمر لله أولا وآخرا، وقد ذيل كثير من الآيات بقوله تعالى «وكفى بالله وكيلا»(١). فإذا كان الله هو الأقوى والأعظم فما حاجتنا إلى من دونه؟! فبالتوكل على الله يقف الإنسان متحديا جميع القوى الطاغية «واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون»(٢).

وأكثر ما تكون القوة طغيانا وكفرا حين تنبع من النفس حيث يتسلط عليها الشيطان أما المتوكلون — وقد أسلموا أمرهم كله لله — فليس للشيطان عليهم من نفوذ. قال تعالى «إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون»(٣).

وبذلك يكتسب المرء اطمئنانا نفسيا يدفعه إلى مزيد من العمل الصالح.

وليس معنى ذلك أن يدع المرء الأمور تجرى فى أعنتها دون أن يأخذ بالأسباب. فلقد يعرف بعضنا قصة الرجل الذى سأل رسول الله ﷺ أيربط دابته أم يدعها ويتوكل، فقال له الرسول ﷺ: «اعقلها وتوكل»، ولو لم يعقلها لسمى ذلك تواكلا. ولو لم يأخذ الرسول بالأسباب لما لبس المغفر على رأسه فى الحروب ولما حفر الخندق حول المدينة فى غزوة الأحزاب ليصد هجمات الأعداء، اعتمادا على الله فى حفظ دينه دون بذل مجهود.

---

(١) راجع سورة النساء ٨١، ١٣٢، ١٧١ والأحزاب ٣، ٤٨

(٢) يونس ٧١ (٣) النحل ٩٩، ١٠٠

ولنا فى مظاهر الطبيعة الحية تأملات ، فالطير تغدو خماصا وتروح بطانا ، فهى لا تقبع فى أعشاشها منتظرة الرزق. كذلك يقول معلمنا الأكبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ « باكروا الغدو فى طلب الرزق ، فإن الغدو بركة ونجاح » (١) فما أجمل العمل فى البكور ـ لاسيما العمل الفكرى ـ حيث الهدوء مخيم والذهن مستريح والجسد نشيط ، ليس هذا فحسب فالبكور نقطة الانطلاق الزمنى ليبدأ العاملون منافستهم الشريفة . فالإسلام لا يعترف بالبطالة حتى ولو كانت العبادة فقط . فكيف إذا خلت من عبادة ؟

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا أو يمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا) (٢).

٤ — البطالة

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها ... تنال إلا على جسر من التعب

أبو تمام

والإسلام إذ يدعو إلى العمل الصالح ، ينهى أشد النهى عن البطالة لأنها علة ينبغى علاجها . حتى ولو فرغ الانسان من عمله فلا يجوز له أن يظل بغير عمل « فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب » (٣) أى أبدأ بعمل آخر تقصد به وجه الله ، يقول عمر بن الخطاب « إنى لأكره أن أرى الرجل فارغا سبهللا لاهو فى عمل دين ولا فى عمل دنيا » . ويقول أيضا : إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول :

---

(١) الغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. (٢) صحيح مسلم ٧٦/١

(٣) الشرح ٧ ، ٨

ـ أله حرفة ؟ فإن قالوا : لا ، سقط من عينى... ويقول أيضا (ألا لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة). وسئل الأحنف : ما المروءة ؟ فقال : العفة والحرفة (١).

كل هذه النصوص تدل على قيمة العمل وفضل العاملين فى نظر الإسلام . فالعمل حصن العقول أن تغزوها صغائر الأمور وسفسافها (إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها) .

وكثيرا ما ينتاب المتعطل شعور بالنقص يحرضه على أن يقف من المجتمع موقفا عدائيا إن سرا وإن علنا فإذا أحس قبضة المجتمع قوية عليه خر صريع الشعور بالاضطهاد .

والدولة الإسلامية حقا هى تلك الدولة التى تتيح فرص العمل لجميع أبنائها لا تستثنى منهم أحدا حتى ذوى العاهات كى تجنبهم البطالة وما ينتج عنها من آثار سيئة تهدد الإنسان والدولة معا وعلى رأسها الفقر والإجرام .

والبطالة أسباب ذاتية وأخرى خارجية .

فقد تخلد بعض النفوس إلى الراحة والدعة وسؤال الناس ، وتقع مسئولية شيوع هذا النوع من البطالة على الشعب أولا والحكومة ثانيا ، فجمهور الناس تغلب عليهم عواطفهم فيجودون بالمال ولا يسعون إلى إيجاد عمل المتعطلين المتسولين وهم بذلك يتمثلون الآية الشريفة (وأما السائل فلا تنهر) (٢) وينسون أن السائل قد يكون سائل علم أو قضاء حاجة وأما سائل الأموال فهو متسول لا ينبغى تشجيعه لأنه وصمة عار فى جبين الأمة . ولهذا صور الرسول ﷺ هذه

(١) العقد الفريد ١/٢٩٦ (٢) الضحى ١٠

العادة السيئة فى المتسولين بقوله « مايزال الرجل يسأل الناس حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » (١) ويقول أيضا « إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه . ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع » (٢).

فالصدقة التى ترجح كفتها فى الميزان لمن ضاق عليهم الرزق ويمنعهم الحياء من بذل ماء الوجه رخيصا بالتسول « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » (٣).

أما مسئولية وزارتى الشئون الاجتماعية والعمل والهيئات المختصة فأن تودعهم المصحات النفسية وتهيء لهم سبل الكسب الشريف وتعينهم ماديا على بيع أى شىء ولو كان فجلا وكراثا . وقد يبدو هذا العمل صغيرا - ولا أقول حقيرا فليس ثمة عمل شريف وحقير - ولكنه أفضل عند الله من مد يد السؤال فتكون عرضة للعطاء أو المنع « واليد العليا خير من اليد السفلى » (٤). ويقول عليه الصلاة والسلام «لأن يحتطب أحدكم خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »(٥) وقد ظل - عليه الصلوات والتسليمات - يدعو إلى العمل حتى آخر حياته فمن خطبته فى حجة الوداع « أما بعد أيها الناس . فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فقد رضى به فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم » (٦)

---

(١) صحيح البخارى ١٥٢/٢

(٢) صحيح مسلم ٩٤/٣

(٣) البقرة ٢٧٣

(٤،٥) صحيح البخارى ١٥٢/٢

(٦) سيرة النبى ١١٤/٤

أما الاسباب الخارجية للبطالة فهى الأسباب التى لا إرادة للإنسان فيها فهو يعمل ولكن تطور الحياة الاجتماعية وما يجد فيها من مخترعات أو طبيعة العمل نفسه أو إرادة الجماعة ككل تجعله يعدل عن العمل الذى يقوم به ، ومن حسن حظ البشرية أن الله قد أودع الأرض من الخيرات والكنوز المعدنية ما يكفى الناس جميعاً لو ساحوا فى الأرض وعملوا على كشفها وأحسنوا استغلالها .

وقت الفراغ

ومما يتصل بالبطالة مشكلة وقت الفراغ وهى مشكلة حقا لأنها تهدد قيما وتتطلب علاجا جذريا فهى تحير الطالب بعد الانتهاء من الدراسة ، والعامل بعد إنجاز عمله ، كما تهدد الطفل والشاب والشيخ ، ولكل من هؤلاء حلول لتمضية وقت الفراغ تتناسب والسن والثقافة والرغبات . أما أن تضيع الإجازة دون عمل فهذا ما لا يشجعه الإسلام ، فى يوم الجمعة ـ إجازة المسلمين ـ وبعد أداء فريضة الصلاة لابد من السعى لاكتساب الرزق « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضـــل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »(١) . فهو يوم لا يسوغ فيه المسلمون لكاسلهم وقعودهم عن العمل بأنهم يذكرون الله ويتعبدون لا كما كان يفعل بنو إسرائيل إذ يخصصون يوم السبت لكيلا يعملوا فيه شيئا « اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك

---

(١) الجمعة ٩ و ١٠

الذى داخل أبوابك لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه) (١). ويتكرر هذا المعنى (ستة أيام تعمل عملك وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكى يستريح ثورك وحمارك ويتنفس ابن أمتك والغريب) (٢) ليس هذا فحسب إنما يبلغ بهم الأمر بمن يعمل يوم السبت أن يدفع حياته ثمنـــا لعمله ونشاطه (فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم من دنسه يقتل قتلا . إن كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها) (٣) من أجل هذا سموا أصحاب السبت وكانوا مثالا للعنة الله وغضبه . يقول تعالى (يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) (٤).

فالإسلام لا يعرف الفراغ حتى حيث يظن أنه يحبذ أن يكون المرء فارغا جزاء ما أدى من عبادة ، وليس معنى ذلك أنه دين متزمت يضيق على النـاس فالرسول يقول :

(روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها إذا كلت عميت) فمن أحسن الحلول للقضاء على مشكلة الفراغ إنشاء الأندية الثقافية والرياضية لتحل محل المقاهى التى تجتذب اليها جمهور المتعطلين كما أنها تحقق فوائد فى مقدمتهـا التشبع بروح الديمقراطية وخدمة الجماعة حين يتكلم المشترك بلفظة (نحن) نابذا كلمة (أنا) كما تنمى فيه الروح القيادية حين يسهم فى وضع البرامج المختلفة ويعمل على تنفيذها

( ) العهد القديم : خروج . الاصحاح ٢٠ (٢) خروج. الاصحاح ٢٣

(٣) خروج ٣١ (٤) النساء ٤٧

متحملا مسئوليتها ، كذلك يكتسب الفرد خبرات وقدرات جديدة لم تكن تتاح له فى غير هذا المجال فضلا عن التعرف إلى أصدقاء مخلصين أوفياء وهم أكبر ثروة يستطيع أن يقتنيها .

كذلك تتيح المنتديات فرصة التنافس الخلاق بين جميع المشتركين حتى يتعودوا ذلك فى حياتهم العامة .

التنافس :

وإذا كان الإنسان خلق ليعمل ، فما أحراه أن يعمل لأجل العمل نفسه ، لا لأن إنسانا آخر ينافسه فيه ، فما أكثر المثل فى الحياة لما جنت المنافسة التى تخرج عن حدودها اللائقة على أصحابها من آلام وأحزان .

فمن خطأ الآباء أن يحمسوا الأبنـــاء الطلب فى دور العلم بأن يوجهوا أنظارهم إلى جهود زملائهم ، وقد يتفوق الطالب حقا بعد جهد طويل ، ويحظى بكلمة (مبروك) من الناس ثم يبحث عن الفائدة الحقيقيـة التى جناها فلا يجد فلا هو أحس طعم العلم فى ذاته ولا هو احتفظ بصحته الجسمية والعقلية كاملة من طول ماعانى من إرهاق فى الدراسة فلكل إنسان طاقته التى (لايكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ..) (١) .

على أننا لا نستطيع أن ننكر اجتماعية الإنسان وحقه فى التطلع إلى حياة أفضل فى المجالات المختلفة سياسية كانت أو ثقافية أو اجتماعية ، من أجل هذا كانت المنافسة فى هذه الحدود فلا نتعداها إلى هدم الأشخاص المتنافسين .

---

(١) البقرة ٢٨٦ .

فمن المنافسة البغيضة أن يسوم المرء على سوم أخيه أو يخطب على خطبة أخيه (١).

ويتميز متنافس عن آخر يتفق وإياه فى الميول والرغبات والسن أو تتكافأ الفرص بينهما بما يحمل بين عطفيه من شعور رقابة الله على العمل (والله بصير بما يعملون) (٢) (والله بما تعملون عليم) (٣) (والله شهيد على ما تعملون) (٤) (والله خبير بما تعملون) (٥) ذلك الشعور يكسبه اطمئنانا فى العمل يدفعه إلى السبق، ويدفع عنه القلق فى حاضره ومستقبله ذلك الداء الخبيث الذى نطلق عليه بحق سرطان النفس.

والإسلام إذ يحث على التنافس الشريف من أجل النهوض بالعمل (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) (٦)، (لمثل هـذا فليعمل العاملون) (٧)، يشجع الإبداع الفكرى والابتكار، يقول عليه الصلاة والسلام (من عمل سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها) يستوى فى ذاك الرجل والمرأة فكلاهما من نفس واحدة.

---

(١) صحيح مسلم ٥/٤
(٢) البقرة ٩٦
(٢) البقرة ٢٨٢
(٤) آل عمران ٩٨
(٥) آل عمران ١٥٣
(٦) المطففون ٢٦
(٧) الصافات ٦١

٥ ـ المرأة والعمل

(من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)
النحل ٩٧

تشعبت الآراء وكثرت الأقوال فى حق المرأة فى العمل خارج بيتها ، فهم يقولون إنها لا تصلح لغير النسل وتربية الأولاد وقد أتهم العقاد بأنه يجافى عصره لما نسب إليه من ذلك القول . ٢ ـ ومنهم من يقول إن اختلاطها بالرجال فى الأعمال الخارجية مفسدة وفتنة. ٣ ـ إن عملها خارج البيت غالبا مايكون على حساب المنزل وشئونه . ٤ ـ ومنهم من يهاجم المرأة عامة ويراها عورة فهو لهذا يريد أن يجعلها فى قمقم لا ترى أحدا ولا يراها أحد . يقول الدكاترة زكي مبارك (المرأة تملك أصول الشهوات وهى باب الدمار والخذلان ـ وما أطاع رجل امرأته إلا ذل وهان ، وأعظم ميزة لنبى الإسلام هى دعوته إلى الحذر من النساء) (١).

أما المؤيدون فيرون أن : طبيعة لعصر وتكاليف الحياة المتزايدة تجعل المرأة فى حاجة إلى العمل خارج البيت لتعين الأسرة ماديا .

٢ ـ المرأة العاملة أكثر إدراكا لشئون الحياة من ربات البيوت بما يتيحه لها الاختلاط من تدريب الذكاء ومعرفة أحوال الناس بدلا من أن تكون مع رفيقاتها عالما مستقلا بذاته له تفكيره وعاداته الخاصة .

٣ ـ المرأة حيث تبتعد عن بيتها خلال فترة العمل تعود إليه وهى أكثر اشتياقا وتعلقا بزوجها .

---

(١) زكى مبارك ـ دراسة تحليلية بقلم أنور الجندى ص ٩١ .

وأود أن أوجه النظر إلى أن الإسلام لا يفرق بين الرجل والمرأة كثيرا إلا كما يفترق رجل عن رجل فى المزايا والمواهب ؛ فمن النساء (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات) (١). ومنهن كما وصفهن زكى مبارك غير أن ما نسبه إلى رسول الله ﷺ غير صحيح على إطلاقه، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- يقرر (أن النساء شقائق الرجال) ولهذا يقول للرجال (استوصوا بالنساء خيرا) (٢) ويقول عن نفسه (حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة). ولم يكن يسمح لابنته أن تكون نؤوم الضحى ، الناس يعملون وهى تغط فى نوم عميق ، تقول السيدة فاطمة (مرّبى رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة متصبحة - أى وقت الصبح - فحركنى برجله ثم قال : يا بنية قومى اشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس). أما هؤلاء النساء اللاتى يحذر منهن الرسول ﷺ فهن الساقطات المائلات المميلات يقول عليه الصلاة والسلام (إياكم وخضراء الدمن ، قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء) . ، ولو كان التحذير من النساء عامة لما قال لامرأة من الأنصار : (والله إنكن لأحب الناس إلى) (٣)

فالمرأة لذلك لا يكرمها غير كريم ولا يهينها غير لئيم . فهى مخلوقة تغرى بأن يكرمها الرجل لضعفها أو يستغلها أسوأ استغلال سواء فى البيت أو المصنع أو ...الخ .

يقول رسول الله ﷺ (خيركم خيركم لبيته وأنا خيركم لبيتى) وهو - عليه

---

(١) التحريم ٥ (٢) صحيح البخارى ٣٤/٧، صحيح مسلم ١٧٨/٤

(٣) صحيح البخارى ٤٨/٧

الصلاة والسلام - إذ يضرب المثل بنفسه إنما يدل على نظرته إلى المرأة وأنها تستحق العناية والرعاية وأنها أيضا لا تقل عن الرجل فى الخصائص الفكرية حيث أن من حكمة تعدد زوجاته أن يتعلمن منه الفقه ويعلمنه نساء المسلمين بل الرجال أيضا فما دام لها حق التعلم فالعلم لا يؤتى ثمرة فى غير العمل .

وإذا كانت هذه المسألة لا تثير مشكلات فى المجتمعات الغربية لطول الإلف لذلك كما أنها ليست مشكلة عندنا بالنسبة للمرأة التى تعمل مع زوجها فى الحقل ، فقد كانت مشكلة فى عهد رسول الله ﷺ وقد قطع فيها بالرأى الحاسم الرشيد يقول جابر : طلقت خالتى فأرادت أن تجد - أى تقطع - نخلها ، فزجرها رجل أن تخرج فأتت النبى فقال « بلى ، فجدى نخلك فإنك عسى أن تصدقى أو تفعلى معروفا » . وليست هذه مسألة خاصة بتلك المرأة المطلقة ، لقد قال الرسول مقررا حكماً عاما (قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن) (١) فما الدليل من القرآن ؟ قال تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما) (٢)

وأكثر من ذلك أن المرأة أسهمت بدور كبير فى نشر الإسلام حيث اشتركت فى الغزوات تقول الربيع بنت معوذ (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى إلى المدينة) (٣) . وفى رواية أم عطية الأنصارية

---

(١) صحيح البخارى ٤٩/٧ ، صحيح مسلم ٦/٧

وقد كانت (أم محجن) امرأة فقيرة تعمل بجمع القمامة غير أن الرسول افتقدها أياما فلما سأل عنها أخبر أنها ماتت فاذا هو يزورها فى قبرها احتراما منه لكفاح المرأة من أجل لقمة العيش .

(٢) النساء ٣٢ (٣) صحيح البخارى ٤١/٤

قالت (غزوت مع الرسول - ﷺ - سبع غزوات . أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى) (١) .

وهاهى نسيبة بنت كعب المازنية (٢) تمتشق السيف وتضرب به الأعناق وترمى بالنبل فيخر الأعداء صرعى حتى ايقول عنها الرسول ﷺ (ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دونى) .

فقد أثبتت المرأة كفاءتها الحربية قديما كما أثبتتها حديثا وجميلات الجزائر خير شاهد لذلك ، كما تفوقت فى ميادين الطب والصحافة والإذاعة والمحاماة والتربية والتعليم وتدرجت فى المناصب حتى بلغت منصب وزير لأول مرة فى الجمهورية العربية (سبتمبر ١٩٦٢) وفى بلاد أخرى كسيلان وصلت إلى منصب رئيس الوزراء ، إذ عهد إلى مسز سيريمافو بندرانيكا برئاسة الوزراة فى ٢١ من يوليو سنة ١٩٦٠.

فمن عجب بعد ذلك أن يرفع رجال عقيراتهم بأن المرأة لا تصلح للعمل خارج بيتها وينسون أنهم أنفسهم أتهموا بالعجز عند انسحاب المرشـــدين من قناة السويس (١١ من سبتمبر سنة ١٩٥٦) عن إدارة القناة .

ومن رؤساء المصالح من يسندون إليها الأعمال الخفيفة إما لهذا السبب أو إشفاقا عليها بدون مسوغ .

والرأى عندى أن ندع الفرصة لخوض المرأة جميع تجارب العمل والزمن كفيل بأن يضعها موضعها اللائق وحبذا لو سمح لها أن تعمل نصف الوقت بنصف أجر لمن لا تستطيع التوفيق بين عمل البيت والعمل الخارجى . على ألا تخرج عن

---

(١) صحيح مسلم ١٩٩/٥ (٢) وتكنى بأم عمارة .. سيرة النبى ٢٥/٣

حدود الأدب واللياقة فى المعاملات فتكون عاملا هداما فى صرح الوطن بدلا من أن تبنى وتعمر (١)، وفى مجال الخدمة العامة والجمعيات الخيرية تطوعا وحسبة لله تستطيع المرأة أن تسهم بدور فعال إذا لم تضطرها الحاجة المادية إلى العمل فى الوظائف الحكومية .

والخلاصة فى هذا الصدد قررها أستاذ منصف جعل الحق والحقيقة نصب عينيه فلم ينحرف لعصبية أو تعصب . يقول الدكتور نظمى لوقا (فليس الإسلام على حقيقته عقيدة رجعية تفرق بين الجنسين فى القيمة ، بل إن المرأة فى موازينه تقف مع الرجل على قدم المساواة لا يفضلها إلا بفضل ولا يخفى عنها التفضيل إن حصل لها ذلك الفضل بعينه فى غير مطل أو مراء . وما من امرأة سوية تستغنى عن كنف الرجل بحكم فطرتها الجسدية والنفسية على كل حال) (٢).

وكذلك يقرر الحقيقة الإحصاء الآتى سنة ١٩٦٢ : (٣).

٧٧٢ طبيبة ، ٥٠٠٠ ممرضة ، ٣٠٢ محامية ، ١٨٠ صحفية - عدد الطالبات زاد فى ١٠ سنوات ٥٥ ٪ فى مراحل التعليم ، ٨٠ ٪ من موظفات الحكومة يعملن بمهنة التعليم بلغ عددهن ٢٠٫٣٠٦ تربوية و ١٠٫٨٢٠ إدارية وذلك حتى سنة ١٩٦٢

---

(١) وينذر رسول الله - ﷺ - نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة بأنهن لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، صحيح مسلم ٦/١٦٨

(٢) محمد الرسالة والرسول ص ١٠٠ وما بعدها ط ١٩٥٩ .

(٣) جريدة الأهرام فى ١٩٦٣/٧/٢١ .

القوى العاملة النسائية

فى أعمال النقل والمواصلات والتخزين	٤٠ر٦٠٠
التجـــارة	١٠ر٢٠٠
الخدمـــات	١٨٠ر٣٠٠
الصناعات التحويلية	١٥ر٣٠٠
المناجم والمحاجر	٠٠٠ر٣٠٠
أعمال الحكومة	١٨٥ر٦٠٠
أعمال غير محددة	٧ر٦٠٠
الأعمال الزراعية	١١ر٣٠٠
وفى تشييد البناء	٢٦ر٣٠٠
المجمـــوع	٤٧٧ر٥٠٠

٦ ـ العمل الصالح

(.. فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)
الكهف ١١٠

ثمة أعمال يلجأ إليها الإنسان وهو يظن أنها أحسن الأعمال وقديما ثار الجدل حول أيهم أحسن عملا اليهود أم النصارى ؛ فاليهود ـ على لسان رافع ابن خزيمة يقول لأهل نجران ـ وقد قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ ما أنتم على شىء ، فيرد رجل من أهل نجران جاحدا نبوة موسى وكافرا بالتوراة (١) فنزلت

(١) راجع أسباب النزول لجلال الدين السيوطى ـ طبع بالقاهرة سنة ١٣٨٢ هـ

الآية الكريمة تبين أن العمل الصالح عند الله وهو وحده الذى يعرفه حق المعرفة ويجزى به فعلى الإنسان أن يعمل باخلاص ولا عليه ما يتقول به الناس (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم - فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) (١).

وكثيرا ما نسمع هؤلاء العاملين ببواطن النفوس ، يحكمون على الناس جزافا ، كيفما شاء لهم حقدهم المرير وأهواؤهم الكاذبة ؛ فالسلبية طيبة وحسن خلق ، بينما الطموح عندهم وصولية وتسلق على أكتاف الغير ، وهم بذلك يرضون شيئا من غرورهم فكأنما يعز عليهم أن ينبغ منهم نابغ وهم لا يزالون فى السفح فيسوغون فشلهم بهذا التعليل المريض ويكشف القناع عن نفوسهم رسول الله - ﷺ - حين يقول (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) (٢)

وهؤلاء المتعالمون يزعمون أنهم يعرفون شيئا من الغيب ، فيموهون على ذوى النفوس الضعيفة بألاعيب تقع منهم موقع الصدق أمدا طويلا ثم يفيقون الكى يدركوا أنهم أنفقوا مالا وفيرا على غير طائل .

ومن الأعمال التى تبدو فى ظاهرها صالحة وتقبل النقاش ما يلجأ إليه بعضهم من التسول بقراءة القرآن من المقابر . ومن القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ يتبين لنا خطأ من يتخذ القرآن لسؤال الناس فالقرآن نزل هاديا ومبشرا فهو أسمى من أن يمتهن بهذه الوسيلة قال تعالى (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون) (٣)

---

(١) البقرة ١١٣ (٢) صحيح مسلم ٣٦/٨

(٣) البقرة ٤١

ويقول أيضا مبينا أن من يتخذ الكسب من قراءة القرآن غاية فى ذاتها إنما يضل عن الطريق السوى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله) (١) ولهذا فليس لهم فى الآخرة نصيب العاملين بالقرآن (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (٢).

والناس إذ يشجعون ذلك الصنف من المتعطلين إنما يتوهمون أن للموتى ثوابا إذا قرىء عليهم القرآن ولست أدرى إذا كانوا لم يفيدوا منه فى حياتهم فكيف يفيدهم فى مماتهم ؟ . إن رسول الله - ﷺ - يوضح لنا أن عمل المرء هو الذى ينفعه فيقول - عليه الصلاة والسلام - (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وهذه الاستثناءات يبدو فيها جهد الميت السالف فى حياته الدنيا ، فقد تبرع بماله لذوى الحاجة ولا يزالون ينتفعون به عند مماته ، أو أسهم فى إنشاء مدرسة أو ألف كتابا ينتفع بها جمهور الدارسين أو أخلص فى تربية ابنه تربية تقوم على قواعد الدين فهو يستحق منه الدعاء . أما قراءة القرآن عليه فيرى المحققون أن ليس له فيها فضل (٣) .

إن العمل الصالح وحده هو الذى يطمئن العاملين فى حياتهم فلا يلجأون إلى قبور أولياء الله الصالحين يتمسحون بها تلمسا للبركة وفى القرآن والسنة ما يغنيهم

---

(١) التوبة ٩ (٢) آل عمران ٧٧

(٣) محاورات فى الشريعة والعقيدة - عبد الحليم محمد حمودة ص ١١ ط دار نشر الثقافة بالاسكندرية وقد ناقش فيه المؤلف كثيرا من المسائل الدينية .

عن تلمس البركات من الأشخاص يقول عليه الصلاة والسلام (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي) ، فاذا لم يتمسكوا بهما ذهبت عنهم الرحمة في قبورهم . ولقد كان النبي لا يكتفي بقول الحديث موحى من الله إنما يأخذ بيد الناس يرشدهم في رفق وهوادة ، يعطيهم النصح المبين بالعمل، فهذا رجل من الأنصار يذهب إليه سائلا فيسأله الرسول ﷺ عما عنده في بيته فيقول الرجل: حلس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيـه الماء ، فيأمره النبي باحضارهما فيحضرهما فيسأل النبي ﷺ من يشترى هذين ؟ فيطلبهما مشتر بدرهم فيقول النبي ﷺ : من يزيد على درهم ؟ مكررا إياها ، فيأخذهما آخر بدرهمين يعطيهما الرسول ﷺ إلى الأنصارى ليشترى بأحدهما طعاما لأهله ، وبالآخر قدوما يأتى به رسول الله ﷺ فيشد فيـه الرسول ﷺ عودا بيده ثم يقول له : اذهب ، واحتطب ، وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل ثم جاء . وقد أصاب عشرة دراهم كسبها من حلال لينفقها في حلال أيضا لأنه عرف كيف يكون التعب في الرزق فيقول له الرسول ﷺ : هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مفظع ، أو لذى دم موجع (١) ، ويقول الرسول ﷺ أيضا (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له) .

والعمل الصالح هو السلوك الذى يتفق وهذين الأصلين (الكتاب والسنة) سواء كان في الزراعة أو في الصناعة أو المكتب الحر او .. .. مصداقا لقول

---

(١) حلس البيت : كساء يبسط تحت حر الثياب ومنه (كن حلس بيتك أى لا تبرح) ، نكتة : نقطة وإنما ذكر الرسول الوجه دون غيره من الأعضاء لأنه أظهر للناس ولأن الانفعالات وأمارات النفس لا تكون إلا عليه .

الرسول ﷺ (من عملا عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) (١).

ففي تشجيع العمل الزراعي لنشر الرخاء يقول رسول الله - ﷺ - (من عمر أرضا ليست لأحد فهو أحق ، قال عروة - راوي الحديث - قضى به عمر رضي الله عنه في خلافته) (٢).

ويقول رسول الله - ﷺ - (ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة) (٣)، ونحن نلاحظ أن الحديث وثيقة تأمين يسعى وراءها كل إنسان ، من أجل هذا كان على الحكومات أن تنهج مثل هذا النهج في التشجيع فتقرض الزارع إذا احتاج إلى قرض بدون فوائد مالية تحصلها منه . وتعينه على بيع محصوله بثمن مقبول .

وفي تشجيع العمل الصناعي أو اليدوي يكفي أن نعرف أن سيدنا داود كان يصنع الدروع وكان نوح نجاراً وكذا زكريا (٤) ومحمـــد يشتغل بالرعي والتجارة ، ولم تكن مهنة الرعي التي عمل بها الأنبياء جميعا كما يقول الرسول ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ١٣٢/٥

ويعتبر الإمام أحمد وغيره أن أصول الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث هذا أحدها أما الاثنان الآخران فهما (الحلال بين والحرام بين) وقوله عليه الصلاة والسلام (إنما الأعمال بالنيات) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٥٢/٢ ط صبيح ١٩٦٦ م.

(٢) صحيح البخاري ١٤٠/٣

(٣) صحيح البخاري ١٣٥/٣ ، صحيح مسلم ٢٨/٥

(٤) صحيح مسلم ١٠٣/٧

(ما من نبي إلا رعى الغنم فقال أصحابه : وأنت ؟ » فقال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة(١) لكي تعلمهم - عليهم جميعا السلام - كيف يسوسون الناس ومنهم من يشذ عن الطريق المستقيم فحسب وإنما لطبيعة الحياة آنذاك فهم يعملون كما يعمل الناس على شرف أقدارهم ، وهم إذ يتقربون إلى الله بالعمل الصالح يسألونه - تعالى - التوفيق إليه والرشاد ، فسليمان يدعو (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وأن أعمل صالحا ترضاه) (٢)، وقد يقول قارىء وما الذي يمنعهم من العمل وهم معصومون من الخطأ ؟ أما أنهم معصومون فذلك حق في أمور الدين وتبليغ الرسالة ، أما أعمال الدنيا فهم عرضة للصواب والخطأ كسائر البشر وإلا فما معنى قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٣) ، إذ كيف يجوز أن يقتدي إنسان مخير غير معصوم بنبي مجبر معصوم ؟

وأهم ما في الأمر أن يتوخى العامل الدقة والاتقان قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) (٤).

ويقول ﷺ (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) وأكثر ما يكون الاتقان في الأعمال الصناعية حتى تغرى بالاقبال عليها البلاد الأجنبية ويكون العمل الصناعي أو الفني خير دعاية لبلادنا في الخارج .

وإذا كانت بلادنا قد شهدت نهضة صناعية كبيرة بإنشاء أكثر من سبعمائة مصنع في سنوات قليلة فإن ذلك ليس سباقا مع العصر فحسب ، إنما هو أيضا رجوع إلى ديننا الحنيف فيكفي أن تعرف أن سورة من القرآن سميت بالحديد ،

---

(١) صحيح البخاري ١١٦/٣ — (٢) النمل ١٩

(٣) الأحزاب ٢١ — (٤) الكهف ٣٠

وليس يخفى قيمة هذا المعدن فى الصناعة الثقيلة والخفيفة على السواء ، وأن عاملا فى مصنع الحديد والصلب يستتبع تشغيل أكثر من سبعة عمال فى مهن أخرى .

وحسبك أن تقرأ آية واحدة فى سورة الحج مثلا (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) (١) ليجول فى خاطرك كيف تنهض الدول اليوم بمثل هذه الصناعات الفاخرة ، وقد كانت بلاد عربية مثل دمشق والموصل وبغداد لها شهرة فائقة فى صناعة المنسوجات الحريرية - مثلا - أخذتها عنها أوربا (٢).

من هذا يتبين أن العمل فى سبيل الله هو العمل الصالح ، وهو دين المؤمنين الذين يغارون على دين الله فيعملون ، فإذا ضاقت عليهم الأرزاق فى بلادهم ، أو ضيقت عليهم الحرية من الرؤساء والحاكمين ، فباب الهجرة مفتوح على مصراعيه . وتصريح الدخول آيات الله وأحاديث نبيه العظيم .

(١) الحج ٢٣ (٢) دائرة معارف الشعب ١٧٠ مادة الحرير .

٧ - الهجرة

« إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم .. »

« البقرة ٢١٨ »

فى الآية السالفة يبين الله عناصر الهجرة المحتسبة عند الله فهى ليست فرارا دافعه الخوف والجبن وإنما هى إيمان بحق الإنسان فى العمل وواجبه نحوه .

فإذا هاجروا لا يركنون إلى ملذات الحياة وقد وسع الله عليهم إنما يظلون يجاهدون إعلاء لكلمة الله فلا يخيب لهم رجاء فى الله وصدق الله إذ يقول (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (١).

ولما كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة وقد استجاب المهاجرون لدعوة الله فإن واجب المهاجر إليهم ألا يضيقوا بأخوانهم المهاجرين بل يشعرونهم بأنهم أشقاء لهم ، بل هم أعظم من أشقاء لأنهم إخوة تربطهم رابطة الدين والعقيدة لا النسب (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم)(٢)، وقد بلغت درجة الحب أن أعانوهم على بلوغ مرادهم وكأنهم منهم قال تعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) (٣).

والحث على الهجرة لا نلتمسه فى بضع آيات - على قوتها التأثيرية - فحسب إنما نلتمسه من روح التشريع الإسلامى ، فالمسلم يأنف أن يكون ذليلا فإذا رضى بذلك واتخذ من سوء معاملة الحكام ذريعة للخضوع بقوله ومن على شاكلته

---

(١) محمد ٧ (٢) الحشر ٩ (٣) الأنفال ٧٥

(كنا مستضعفين فى الأرض) كان الجواب المفحم عليهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) (١) ومطلبها (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة) (٢). ويقول الله أيضا مذكرا بيوم النشور داعيا إلى تلمس سبل الرزق وما أكثرها سواء فى نوع العمل أوجهته (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) (٣).

ومن المؤسف - فى نظرى - أن نجد شابا مسلما يحجم عن العمل بعيدا عن أسرته فى بلدة غير التى ولد فيها وإن كانت تتضامان تحت جناح وطن واحد ويفضل أن يظل سنوات بلا عمل كأنه ينتظر السماء تمطر عليه ذهبا وفضة ينفق منها فى الوقت الذى نجد فيه الأسرة الغربية أخذت تنتشر فى الأرض الواسعة ، فالأب فى استراليا مثلا والابن فى مصر والابنة فى انجلترا ، وهم مع ذلك يتراسلون ويتزاورون الحين بعد الآخر .

وأكثر من ذلك عندنا أن الأسرة تحرص على نقل رفات أحد أبنائها إذا تصادف ونقل إلى بلد آخر ومات فيها كأنما الأرض هى كل شىء فى نظرها وليست العقيدة والإيمان بينما لا نجد الأمر هكذا عند الغربيين .

---

(١) النساء ٩٧ (٢) النساء ١٠٠ أى يجد طرقا متنوعة .

(٣) الملك ١٥

ولعل مما يلفت النظر أن الرسول - ﷺ - حين أعجبه موقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين كان يدعو لهم كثيرا ويدعو على من تسول له نفسه أن يمس المدينة بسوء يقول - عليه الصلاة والسلام (من أراد أهل هذه البلدة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء)

صحيح مسلم ١٢١/٤

والاستعمار دوره الفعال فى بث هذا الشعور فى نفوس الشرقيين إذ أخذ يردد نغمة أن بلادنا لا تصلح لغير الزراعة لكى يرتبط الفلاح بأرضه طوال العام يبذر ويحرث ثم ينتظر الحصاد فهو مراقب الأرض طوال عمره ويورث هذه العادة أبناءه ، كما أخذ الاستعمار يردد أغنية أن عيشة الفلاح أحلى عيشة ، فالزرع الأخضر حواليه والقبة الزرقاء تظله وهو يتمتع بالشمس الجميلة فلماذا يترك هذا النعيم الطبيعى ويهاجر ؟ هذه النغمات كان لها أثرها فى إقناع الفلاحين ـ وهم جهلة بفعل الاستعمار ـ بأنه ليس فى الإمكان أحسن مما كان منهم ولكن شاءت إرادة العزيز الحكيم أن يرد مكر المستعمرين وتهب ثورة ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ لتعيد للشعب مجده العريق ولتبنى نهضتنا الجديدة على أسس الإسلام وتمر نحو عشر سنين لتنبثق فلسفة الثورة عن وليد نقره جميعا ونلبى مطالبه فى اختيار حر ليس فيه ضغط ولا قهر ... ذلك هو ميثاقنا الوطنى فى ٢١ من مايو ١٩٦٢ (١).

فماذا يريدنا الميثاق أن نعمل وما دور العاملين (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) (٢) ؟ هذا ما نحاوله بإيجاز فى المبحث التالى .

---

(١) تعتبر المبادىء الستة فى « فلسفة الثورة » علما على طريق الثورة فى مرحلتها الأولى والميثاق دليل التطبيق الاشتراكى فى مرحلتها الثانية . وقد صدر بعد معركة يونيه ١٩٦٧ برنامج ٣٠ مارس (سنة ١٩٦٨) ومما ينص عليه : تأكيد دور قوى الشعب العاملة فى تحقيق سيطرتها بالديمقراطية على العمل الوطنى فى كافة مجالاته . قيام الدولة الحديثة استنادا على العلم والتكنولوجيا . العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية والاهتمام بالشباب وإتاحة الفرصة أمامه للتجربة . توفير الحافز الفردى تكريما لقيمة العمل من ناحية واحتفاظا للوطن بطاقاته البشرية القادرة . تحقيق وضع الرجل فى المكان المناسب من العمل ... فهو فى نظرنا قبس من الميثاق .

(٢) الرعد ٢٠

المبحث الرابع

العمل وأسس النجاح

(إن التطلع الثورى بكل آماله ومثله العليا يهتم بالبناء الجديد أكثر من اهتمامه بالأنقاض التى تداعت ..) الميثاق ص ١٦

مفهوم العمل : كثيراً ما نسمع عبارات عن العمل تكشف عن شخصية المتكلم وتحدد ميوله وأهدافه فى الحياة ، فهذا موظف يسوغ قلة إقباله على العمل بأنه لم يكسب شيئاً نتيجة عمله طوال عمره الوظيفى وآخر يتظاهر بأنه سيعمل ما عهد إليه به على خير وجه فإذا ما انصرف صاحب المسألة تناسى وعده وأخذ يؤخر إنجاز ماطلب إليه كيفما يشاء هواه ، وثالث يعرب عن أمله وأمنيته فى أن يملك ألف جنيه أو ألفين ليترك العمل ويحيا بهذا المبلغ ، هذه النماذج من الناس تعيش فى غير عصرها ، بل لا تعرف للحياة طعما لأنها تعيش على قيم بالية وفلسفات مريضة ، فالعمل المخلص هو روح الحياة ، ومن لا يخلص فى عمله ويتفانى فى سبيل الناس ، لا يحس بقيمته الناس بل لا يحس هو بقيمته نفسه ، أو كما يقول الميثاق (حق العمل - فى حد ذاته - هو حق الحياة من حيث هو التأكيد الواقعى لوجود الإنسان وقيمته) (١) ص ٦٣ وقد وردت كلمة العمل فى الميثاق موصوفة بصفات عديدة تحمل كلها دلالة واحدة تقريباً : كالعمل الاشتراكى ، العمل الجماهيرى ، العمل الاجتماعى ، العمل الديمقراطى ، العمل الوطنى ، وإليكم شواهد ذلك (إن الشعب المعلم أراد لطلائعه الثورية أن تنضم إلى صفوف العمل الجماهيرى ، وأوكل إلى جيشه الوطنى مهمة حماية عملية البناء)

---

(١) الميثاق ط. الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٢ .

ص ٤٧ (الاشتراكية هى إقامة مجتمع الكفاية والعدل، مجتمع العمل وتكافؤ الفرص. مجتمع الإنتاج والخدمات..) ص ٥٠ وتوصف الثورة بأنها عمل (شعبى وتقدمى) ص ٤٨ وقد عرف عن الميثاق نفسه أنه (دليل العمل الثورى).

وفى تكرار كلمة العمل على هذا النحو تأكيد أى تأكيد لهذا المعنى الذى يجب أن يغرس فى نفس الإنسان العربى، كما أن عبارة كتلك التى وردت فى الأسطر الأولى من الباب السادس فى «حتمية الحل الاشتراكى»، لترسم الصورة واضحة للمجتمع الناهض الذى لا يسمح لغير العاملين بأن يتبوءوا مكانة مرموقة؛ فقد قاسى الشعب فى مصر - ولا يختلف الأمر كثيرا فى البلاد التى نكبت بالاستعمار - من طبقة المتعطلين بالوراثة ذوى الثراء الفاحش والبالغ عددهم نحو ٥ ٪ فقط من مجموع الشعب ومع ذلك كانت لا تجيد غير السياحة بعرباتها الفاخرة والإساءة إلى وطننا بكل ما يخطر بالذهن من وسائل.

أما هذه العبارة فهى (إن ذلك - أى تكافؤ الفرص - لا يقتصر على مجرد إعادة توزيع الثروة الوطنية بحيث تستطيع الوفاء بالحقوق المشروعة لجماهير الشعب العاملة». ص ٧٠ وتجد مثلها فى مواضع أخرى كقول الميثاق فى عدالة توزيع الدخل القومى إن «الأمر يقتضى برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة». ص ٧٣ وليس المراد بالعمل التعب فى أداء مهمة فقد يشعر العامل بالارتياح والسرور بأداء عمل ما، ولكن العمل هو ذلك النشاط المبذول - سواء كان يدويا أو فكريا - الذى يحقق منفعة للشعب، أما قوى الشعب العاملة فهى «الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية». ص ٦٤ - ولكل منهم مجاله الذى يستطيع أن يحلق فيه، وإذا كان قد أدرج المثقفون فى هذا النص فلا ينبغى أن نعتبرهم طبقة

معينة . فالفلاح قد يكون مثقفاً وكذلك العامل ... وإنما كان ذلك فى هذا النص تبيانا لدور الثقافة فى دفع عجلة العمل .

أسرار النجاح فى العمل :

ويتوقف النجاح فى العمل على الرغبة الصادقة فى النجاح مع سنوح الفرصة لذلك ، هذه الرغبة الصادقة هى الاقتناع أو الإيمان ، تلك الكلمة اللطيفة التى تقترن فى القرآن المجيد بالعمل الصالح فيما يقرب من الأثمانة آية « وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا » (١) ، « ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى » (٢) إيمان بالله ورسالاته القدسية وإيمان باليوم الآخر والقيم الفاضلة .

أما سنوح الفرصة فيعين عليه تحديد الإنسان الخطة التى يسير عليها فى رسم مستقبله ، هذا التحديد يختلف بين الأشخاص بعضهم وبعض ؛ فالطفل الذى لا يتجاوز الخامسة من عمره لا يستطيع أن يرنو إلى أسبوع مستقبلا ليحدد فيه ماذا يصنع فاذا ماشب رويدا رويدا استطاع أن يرسم لنفسه خطة يحققها بعد شهر ثم بعد عام وهكذا الدول تحدد لنفسها خطة بعد خمس سنوات ماذا ستكون عليه حالها فإذا ما كبرت الدولة خططت لنفسها بعد عشر سنوات ، وفى ذلك يقول الميثاق « إن التخطيط الاشتراكى الكفء هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية ، بطريقة علمية وعملية وإنسانية لكى تحقق الخير لجميع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهيــــة ... ثم هو فى الوقت ذاته ضمان توزيع الخدمات الأساسية باستمرار » ٧٥ والتخطيط ليس

---

(١) الكهف ٨٨ (٢) طه ٧٥

كلاماً أجوف نردده كما يردد صغار الناس أحلامهم فى اليقظة دون عمل ، فلكى أفكر فى المستقبل ينبغى الا تغيب عنى حقائق الحاضر وآثار المـــاضى غير أن ما يملك على نفسى هو المستقبل أكثر من الماضى وفى ذلك يقول الميثاق : (والهدف الذى وضعه الشعب المصرى أمام نفسه ثوريا بمضاعفة الدخل القومى مرة على الأقل كل عشر سنوات لم يكن مجرد شعار ، وإنما كان حاصلا صحيحا لحساب القوة المطلوبة لمواجهة التخلف والسعى إلى التقدم مع مراعاة التزايد فى عدد السكان) . ص ٨٨

ومن أسرار النجاح فى العمل أن يقبل العامل على عمله بعقله وقلبه معا ، وعلى هذا فمن الخطأ أن يحمل نفسه من المسئولية أكثر مما يطيق زهوا وفخرا فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل له من عقلين فى رأسه ، فالإنسان الناضج هو الذى يدرك أبعاد المسافة التى عليه أن يقطعها أما الغرير فيرى الصعب هينا دون أن يتخذ له الأسباب ، كالطفل الصغير يرى طائرا صاعدا إلى السماء فإذا هو يمد يديه املا أن يمسكه ، كما أن المسئوليات الكبيرة يطلبها غير الأكفاء طمعا فى المظاهر الجوفاء من شأنها أن تصيبهم بالعجز والفشل فإذا هم يفقدون الثقة بأنفسهم وبقدراتهم فمن المستحسن حين تسند إلينا أعمال ضخمة أن نقوم بتنفيذ أسهلها أولا ، فما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يخالف الله (١)، أو نقسمها فى التنفيذ إلى مراحل يركز الذهن على كل مرحلة على حدة

---

(١) عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فان كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها . صحيح البخارى ٤/ ٢٣٠

دون أن يتعداها إلى غيرها وإلا كنا كمن يتسلق جبلا فشخص ببصره إلى الوراء أودنا إلى القمة الشماء فكانت تدمه عرضة للزلل فرقا وخوفا (١).

ولست أحب أن يفهم من ذلك أن التباطؤ يلازم العمل المتقن دائماً ، فما أكثر ما يقترن العمل باللذة إذا كان سريعا ودقيقا فى آن ، وتلك أمارة الإرادة القوية التى يتمتع بها العامل أن يختصر الوقت ما أمكنه مع الإجادة والإتقان «إن المقياس الحقيقى للارادة الوطنية يرتبط مباشرة باختصار مدة مضاعفة الدخل القومى إلى أقل من عشر سنوات بكل للمسافة التى يطيق الجهد الوطنى تحملها » (٢).

إن نجاح الأعمال رهين بالتعقل الواعى الحريص فى غير التفات إلى الحاح العواطف المشبوبة والنزوات المحمومة فكم أضاع شرود الفكر عن الهدف النبيل على شباب وصلوا إلى مرحلة عالية فى التعليم فرصا كثيرة للنجاح ، فهذا شاب فى طريقه إلى الامتحان حانت منه التفاتة إلى امرأة ذات حسن ودلال فإذا هو يتبعها وينسى أن النجاح فى اجتيازه الامتحان الحقيقى ... امتحان الجامعة ، وهذا يفصل من قاعة الامتحان لأنه قذف بقصاصة بها إجابة الامتحان إلى زميلته الجميلة .

إن العاملين لا ينالون ثقة المجتمع – وليس الإعجاب فحسب – إلا بعد مضى فترة كافية يثبتون فيها أنهم يعملون من أجل تثبيت مثل جديدة وقيم خلاقة فى المجتمع . وكفى المرء سعادة أن يوثق به فى أمر دينه ودنياه . وإذا كان الإنسان يبادل الناس ثقة بثقة فلا ينبغى أن يتخلى عن الدقة فى العمل ، فعدم مراعاة الدقة غفلة يتنزه عنها ذو العقل الرشيد والضمير اليقظ .

---

(١) فن الحياة لاندريه موروا – ترجمة أحمد فتحى ص ٧٥ ط. الشعب ١٩٥٨

(٢) الميثاق ص ٨٨

سبب آخر للنجاح هو الاحتفاظ بالسر وهذه خصلة القادة ذوى العزم ويفتقر إليها ضعاف النفوس الذين يظهرون علمهم ببواطن الأمور ، وليس المقصود بالسر إخفاء مثالب الإنسان فى نفسه دون محاولة التخلص منها لكى يبدو للناس ملائكيا طاهرا فهذا نفاق يأباه الخلق العربى الأصيل ، أما السر سبب النجاح فهو خطة تنظيمية للعمل يقتضى التمسك بها واجب الأمانة ، فحياتنا نحس بها تمر سريعا حتى ليتمنى الفرد أحيانا أن يغدو اليوم ٣٦ ساعة مثلا ، هذا إحساس بالسرعة يستتبع إحساسا آخر هو العجز عن أداء عمل نافع غير أنه بالعمل المنظم وبمرور الوقت يظهر عمل العاملين متكاملا لا يعطى للحاقدين فرصة كبيرة للتشهير به إذا أعلنت عنه فى غير وقته ، فتحقق الأهداف لا يكون بغير « العمل المنظم والأمين فى إطار الأهداف الإنتاجية المخطة وبوحى من الفكر الاجتماعى الذى يرسم لها طريقها إلى صنع المجتمع الجديد وما يمكن لهذا الفكر أن يطوره من قيم أخلاقية جديدة ومعانى إنسانية متفتحة للحياة نابضة بها » (١).

ويعتمد العمل الناجح على المزاوجة بين الفكر والتجارب « إن الوضوح الفكرى أكبر ما يساعد على نجاح التجربة ، كما أن التجربة بدورها تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة » (٢). فإذا انفصل الفكر عن التجربة وقف الإنسان حائرا أى الأعمال يختار ، حتى تضيع الفرصة وهو واقف حيران (٣).

العمل الثورى : هو عمل تقدمى وشعبى ويتحتم على ذلك أن العامل لا ينبغى

«١» الميثاق ص ٩٧ «٢» الميثاق ص ١٢٠

«٣» وتحضرنى بالمناسبة ـ ومعذرة التشبيه ـ ما أجراه « بيوردان » فى العصور الوسطى إذ أحضر كومتين من دريس متساويتين فى كميتهما ووضعهما على بعد متساو على جانبى حماره ، فظل الحمار فى حيرة لا يدرى إلى أى الكومتين يتحرك ،

له أن يستصغر عادة سيئة فمعظم النار من مستصغر الشرر ، يقول أنس - رضى الله عنه - «إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات . قال أبو عبد الله يعنى بذلك المهلكات » «١».

٢ - أن يكون له أمل بعيد يعمل على تحقيقه ؛ فليس ثمة قصور فى الهواء إلا إذا كان لها أساس قوى فى الأرض . فالطالب الذى لا يطمع فى غير تقدير « جيد » قد لا يصيب هذا التقدير وربما رسب على عكس ذلك الذى يطمح إلى درجة الامتياز فلينظر العامل إلى النجم فلعله يصيب مئذنة وليسمع إلى قول رسول الله ﷺ « سلوا الله الدرجات العلى ، فإنما تسألون كريما وإذا سألتم الله فأعظموا الرغبة ، واسألوا الفردوس الأعلى فان الله لا يتعاظمه شىء ».

٣ - العمل الثورى لا يجانبه الخطأ ، فالمحاولة والخطأ شىء فطرى وحسب المرء أن يعمل ويجتهد وإن لم يوفق إلى نتيجة صحيحة وإسلامنا يشجع فى العاملين هذا الاتجاه فى أكمل فروع المعرفة وهى الفقه ويعتبر من اجتهد ثم أصاب فله أجران أما من أخطأ فله أجر (٢)، فهو يقدر جهوده ويحثه على العمل والاجتهاد مرة وثانية ، لأن الحقيقة بنت البحث .

النقد الذاتى : يقول الميثاق متمشيا مع فلسفة العمل الثورى « ان ممارسة النقد ، والنقد الذاتى تمنح العمل الوطنى دائما فرصة لتصحيح أوضاعه وملاءمتها دائما مع الأهداف الكبيرة للعمل » . ويقول أيضا « إن حرية النقد البناء والنقد الذاتى الشجاع ضمانات ضرورية لسلامة البناء الوطنى » . ص ١٢٢

وهذه الفلسفة وإن كانت جديدة كاصطلاح فإن لها أصولها الإسلامية العميقة

«١» صحيح البخارى ١٢٨/٨ «٢» صحيح مسلم ١٣١/٥

النور ؛ لم يكن الحاكم يكتفى بتوجيه الناس إلى نقد بعضهم بعضا ، إنما كان يحثهم على نقده هو إذا وجدوا فى ذلك صلاحا لأمورهم . يقول أبو بكر فى أولى خطبه بعد توليه الخلافة (إنى قد وليت عليكم ، ولست بخير منكم ، فان رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أى أرشدونى ، وكذلك كان يفعل عمر حتى أن اعرابيا يقول له « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا» . فلا يغضب عمر بل يحمد الله أن وفق الرعية إلى أن يقوموا الاعوجاج وإن بدر من عمر الخليفة الحازم القوى .

وقد كانت هذه الدعوة تبدو غريبة فى ماضينا القريب ، فلم نكن نسمع من رؤساء الوزارات من ينتقد عملا أشرف على تنفيذه ، بل بلغ الثناء على كل عمل يقومون به حد التهريج الرخيص ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وحرية الكلمة مكفولة ولكن « فى حدود القانون » ثم يأتى القانون ليضيق منها بشكل لا يستطيع المواطن التعبير عن رأيه لأنه فقد القوة التى تحميه فى بلده ، فجاء الميثاق لينص على أن القوانين « لابد أن تعاد صياغتها لتخدم العلاقات الاجتماعية الجديدة التى تقيمها الديمقراطية السياسية تعبيرا عن الديمقراطية الاجتماعية » .

العمل الفكرى : وهذه مهمة جليلة تقع على كاهل الكتاب الأحرار أن يقولوا ما يعتقدون أنه الحق ولا يضيرهم ظهور الحق على لسانهم أو لسان غيرهم ، وتعتبر وسائل الإعلام والصحافة الأمينة منبراً حراً للرأى السديد ، وفى ذلك يقرر الميثاق أن ملكية الشعب للصحافة التى تحققت بفضل قانون تنظيم الصحافة الذى أكد لها فى نفس الوقت استقلاله عن الأجهزة الإدارية للحكم قد انتزع للشعب أعظم أدوات حرية الرأى ومكن أقوى الضمانات لقدرتها على النقد » . ولعلنا نلمس اليوم تجارب الصحافة وغيرها مع هذا الاتجاه الجديد ، غير أن الأمر

فى حاجة إلى تطهير أقوى أثراً ، فنحن نسمع آراء جديدة ونقرأ أفكاراً جديدة ولكنها لا تخرج عن حدود الورق إلى حيز التنفيذ ، وهنا يبرز دور لجان الاتحاد الاشتراكى العربى ويمثله ٥٠ ٪ على الأقل من العمال والفلاحين ليعمل كل عضو « على الاتصال الدائم بأفراد الشعب فى نطاقه لتلمس رغباتهم واحتياجاتهم مع التعاون معهم فى إيجاد الحلول المناسبة لهذه الرغبات والاحتياجات وشرح رأى الجماهير فى الاتحاد الاشتراكى العربى » (١).

العمل والشباب : وقد حظى الشباب فى عهدنا الجديد برعاية لم تتح له من قبل . فقد استغلت طاقات الشباب استغلالا سيئا فى الدعايات الانتخابية لحزب من الأحزاب لكى يضمنوا مستقبلهم الوظيفى ، فالوظيفة هى الأمل والغاية التى يسوغ الوصول إليها أية وسيلة فغدا دور المدرسة ضعيفاً فى تزويد الطلبة بالمثل النبيلة والدفاع عن الحق والحقيقة. وكيف وهم يفتقدون القدوة الصالحة التى تعينهم على شق حياتهم فى عزة وقوة ؟ وفى ذلك يقول الميثاق « إن أجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت تاريخها الوطنى على غير حقيقته ، وصور لها الأبطال فى تاريخها تائهين وراء سحب من الشك والغموض ، بينما وضعت هالات التمجيد والإكبار من حول الذين خانوا كفاحها » ص ٦١ فإذا تخرجوا فى المدارس والجامعات ، أخذتهم الحيرة فى بلدهم ، يقول الشاعر مصوراً تلك الحال :

أرى وطنـــا تحير ناشئوه ... فما يجدون من عمل قواما
فلا أسس التجارة فيه قرت ... ولا ركن الصناعة فيه قاما
مدارس لم تهيئهم لكسب ... ولم تبن الحياة ولا النظاما

ويفضى بهم الأمر إلى أن يلتحقوا بالوظائف الحكومية ، يعملون للأنظمة

---

(١) المادة الرابعة من قانون الاتحاد الاشتراكى العربى .
وبعيدا عن تسمية بعينها فذلك دور الاتحادات بعامة .

القائمة وتحت قوالبها ولوائحها التى لا تأبه بمصالح الشعب دون أى وعى لضرورة تغييرها من جذورها وتمزيقها أصلا وأساسا) . ص ٦١ ذلك لأنهم يجدون أن تيار الفوضى جارف فيؤثرون السلامة والسير مع التيار ، على أن قلة منهم هى التى ربيت على الفضائل تقف محتفظة بشخصيتها المستقلة .

من أجل هذا كانت الحاجة ملحة إلى إنشاء وزارة الشباب (أكتوبر ١٩٦٢) لترعاهم نفسيا وصحيا واجتماعيا وعلميا وتعودهم أن (العمل شرف ، والعمل حق ، والعمل واجب ، والعمل حياة) . فأخذوا يقبلون على معسكرات العمل بشغف ونهم ولا يرفضون عملا يبدو بسيطا ولو كان فى بلاد بعيدة ، وأصبحت المسئولية النهوض بوطنهم نصب أعينهم بعد أن لمسوا الخدمات العديدة التى تهيئوها لهم الدولة وفى مقدمتها مجانية التعليم لكى تتاح لهم جميعا فرصة التفوق وإظهار المواهب وأكثر من ذلك أنها شجعت المتفوقين والمبرزين ماديا ، وتعنى بشغل وقت فراغهم بعرض المسابقات الأدبية والقومية والدينية حيث المنافسة فى أجل معانيها ويمنح الفائزون فيها جوائز سخية وقد تقوم بطبع أبحاثهم إذا كانت تتميز بالجودة والإتقان وهى تعد لهم ـ طلابا وعمالا ـ البرامج الترفيهية والتدريبية للخدمة العامة وتربية الروح القيادية فيهم الأمر الذى يعود عليهم بالنفع الروحى والمادى معا .

وفى المجال العسكرى عنيت الدولة بأن يكون شبابها مجندين مستعدين لخوض المعركة الكبرى مع إسرائيل ومع أعداء العروبة والإسلام (١) .

وكثير من الفتيان والفتيات يشتركون فى الحرس الوطنى كما أن (مادة الفتوة)

---

(١) ونشير هنا إلى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد ٧ ، فالانتصار رهين الايمان والعمل الواعى الجاد .

ويقول الله : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ...) الأنفال ٦١ والمبادرة إلى السلام نبع من الدين الحنيف مع أخذ الحذر عند المعاهدة .

أصبحت مقررة على تلاميذ المدارس الثانوية(١) كي يشبوا فتيانا أقوياء يعتمدون على أنفسهم ويعتمد وطنهم عليهم لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير كما يقول رسول الله ـ ﷺ ـ وهكذا لا ينكر أثرهم فى معركتنا فى بورسعيد وفى اليمن وأثبتوا قول الله فى شباب مثلهم « إنهم فتية آمنوا بربهم فزدناهم هدى » (٢).

وقد تغير النظر إلى السياسة فبعد أن كانت تهربها رخيصا ، أو شيئا بغيضا كما يقول المنفلوطى « أنا لا أحب أن أكون سياسيا ، لأنى لا أحب أن أكون جلادا » أصبحت أسلوبا ساميا فى خدمة الوطن وكان على الشباب أن يسهم بدوره فى خدمة بلده بالاشتراك فى التنظيمات السياسية ، فقد نص قانون الاتحاد الاشتراكى العربى فى مادته الأولى على أن عضوية الاتحاد مفتوحة لكل مواطن « تكون سنه ١٨ سنه على الأقل ، وله حق الانتخاب » أما المادة الأخيرة فتنص على أن يكون « تنظيم العلاقة بين منظمات الشباب ومنظمات الاتحاد الاشتراكى العربى وفقا للقرارات التنظيمية التى تصدرها اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى» (٣)

فإذا كان الشباب يحس أن جهودا كبيرة تبذل من أجله ـ وذلك حقه . فطبيعى ألا يقصر فى واجبه نحو وطنه فيكون خلية ثورية تتفاعل مع المجتمع فى الدعوة الرشيدة والعمل المنتج .

---

(١) عند تغيير المناهج ألغيت هذه المادة بعد معركة يونيه ١٩٦٧

(٢) الكهف ١٣

(٣) كشفت معركة يونيه ١٩٦٧ عن أن بعض المسئولين لم يكونوا على مستوى العمل الجاد ، المخلص لله .

وليست العبرة بالتنظيمات وأسمائها، وإنما بما ترتكز عليه من مبادىء إسلامية.

الدعاة والعمـــل

«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»
آل عمران ١٠٤

ورد الفعل «دعا» فى القرآن المجيد بمعنيين إما دعا الله دعاء كقوله تعالى «وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون» (١).

وإما دعا الله دعوة ، فهذا الأصل المشترك للكلمتين يوحى بأن الأمر كله لله ، ويترتب على ذلك :

(١) أن تكون دعوة الداعين رسالة يؤمنون بها لا يسألون عليها أجرا ، وقد ضرب رسول الله - ﷺ - أروع المثل فى الثبات على الرسالة حين عرض عليه القوم أن يملكوه عليهم أو يمنحوه مالا وفيرا وغير ذلك من مغريات الدنيا فأبى.

فدعوة الرسول ﷺ دعوة الحياة كيف نعيشها ، وليست دعوة يستتر وراءها أغراض ذاتية . قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون» (٢).

(٢) المثابرة على الدعوة شيمة الدعاة الغيورين ، فدعوتهم شعار - وهو فى أصل معناه ما ولى الجسد من الثياب - يلازمهم بالليل والنهار «قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا» (٣) «سرا وجهرا» «ثم إنى دعوتهم جهارا» (٤).

---

(١) يونس ١٢ — (٢) الأنفال ٢٤

(٣) نوح ٥ — (٤) نوح ٨

موقف الناس من الدعوات :

وقد يختلف الناس مع الداعى ويريدونه أن يسير فى ركابهم، ولكن بالإيمان وحده يصبر الداعى «وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار» (١)

فأفكار الداعى (٢)- وإن كانت تهدف إلى خدمة الجماهير - إلا أن الجماهير لا تدركها بسهولة كالدرة الثمينة فى أعماق المحيط، لاتباعهم أهوائهم وشهواتهم. فهم ينفسون على الداعى ان يتفوق عليهم وهو منهم وتأمل الاستعمال القرآنى كما أن حياتهم ترتبط بحياة آبائهم وأجدادهم بسبب وثيق لا يضعف ولا يهى «قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا، وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب» (٣) ويقولون أيضا فى شىء من السخرية نلحظة فى إضافتهم ضمير الملكية إلى كلمة «صلاة» فى الآية الشريفة «قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد» (٤)، «ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم» (٥)

وهكذا كان الخوف من المجهول والتمسك بما ألفه الناس عائقا لكل دعوة إصلاحية جديدة يستغلها الرجعيون لتشكيك الناس فيها.

---

(١) غافـــر ٤١، ٤٢

(٢) ونقصد بالداعى كل مسلم متفهم لدينه سواء كان نجاراً وحداداً أو ماشئت من المهن.

(٣) هود ٦٢ (٤) هود ٨٧

(٥) سبأ ٤٣

ومن الناس من يواجه الدعوات بشيء من اللامبالاة فكل همه فى الحياة لقمة يزدردها أو حلة يستر بها جسده ولا هاجس أن يفتح قلبه وعقله لينفذ إليه نور الدعوة « وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبدا » (١).

ومنهم من أوتوا شيئا من العلم ويمتازون من قومهم بالعقل الراجح ولكنهم إذ لم يستضيئوا بنور الشريعة كانوا عرضة للتخبط فى الظلمات . وكأن هؤلاء « الفلاسفة » الذين يذهبون هذا المذهب قد نظروا فيه أنفسهم فحين وجدوا أنهم - وهم الفلاسفة وأكمل الناس عقلا - لم ترفعهم عقولهم إلى الملأ الأعلى ولم تتح لهم الوصول إليه فكيف يكون ذلك لإنسان ليس له عقل الفيلسوف ولا فلسفته » (٢)

فقد رأينا إذن جهلة الناس ومتعلميهم ينكرون أعظم دعوة عرفتها البشرية دعوة محمد رسول الله - ﷺ - واتهموه بالجنون والسحر والكهانة وكل كذب وبهتان فما لم يكن .ؤمنا إيمانا عميقا بما يدعو إليه ويعمل على تحقيقه فهيهات أن يستمر إلى آخر الشوط ، وهكذا كل داع إلى الخـــير يتميز بالتفكير الواسع والنفس ذات الأبعاد العريضة والأغوار العميقة التى يختلف فى إدراك كنهها الناس اختلافا عظيما ، فمنهم من يرفعه إلى أعلى عليين ومنهم من يحاول أن يهبط به أسفل السافلين .

شخصية الداعى : فضلا عن ذلك ينبغى أن تتوافر للدعاة فصاحة المنطق وبلاغة البيان حيث ان الفكرة الجميلة لابد أن تصاغ فى قالب جميل لكى تقبلها النفس

---

(١) الكهف ٥٧

(٢) النبي محمد - عبد الكريم الخطيب ص ٤٧ ط ١٩٦٣

وكان محمد - ﷺ - يقول « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش »(١) وليس معنى الفصاحة التقعر بكلمات لا مداول لها فى ذهن العامة . ولعل مما يعين على ذلك صدق العواطف والهدف من الدعوة فان الرائد لايكذب أهله ، وبين قلب الداعى والسامع ما يشبه اللاسلكى فى نقل الأفكار والخواطر بأمانة . فإذا الناس يتقبلون منه الدعوة بل ويعملون على نشرها ولهذا كان الرسول يهش حين يصدق به واحد فحسب وهو واثق أن دعوته سوف تجد قبولا إن آجلا أو عاجلا « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم »(٢).

فالدعاة إذن لا يتعجلون النتائج برغم ما يبتليهم الله من حوادث تصهرهم حتى يظهر معدنهم الأصيل « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل» ويقول الله « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين »(٣).

وبذلك يظهر الدعاة المخلصون عن الأدعياء غير المؤمنين بما يقولون . يقول العقاد « فقد نجح داعون كثيرون تعوزهم طلاقة اللسان وطلاقة القسمات ، ولم ينجح قط داع يعوزه الإيمان بصواب ما يدعو به والغيرة عليه »(٤).

ولما كان الداعى يستهدف الخير . والخير فى نفسه أقوى من الشر فى نفس أعدائه حتى ليبلغ الأمر به ألا يحزن لضر أصابه منهم ، بل يحزن لتنكبهم عن

---

(١) معنى « بيد » هنا « من أجل » أو « غير » وعلى الوجه الأخير تكون تأكيدا للمدح بما يشبه الذم .

(٢) صحيح مسلم ١٢٢/٧ ، البخارى ١٧١/٥ (٣) البقرة ١٥٥

(٤) راجع عبقرية محمد - كتاب الهلال رقم ١

طريق الخير ، مصداقا لقوله تعالى « ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون » (١) أقول لما كانت هذه طبيعة النفوس الخيرة فإنها لا تنعطف على الناس بمجرد الكلام وإنما يعمل الداعى على تأليف القلوب بفكر ناضج « ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » (٢). وتكفى الإشارة فى هذا الصدد إلى أثر دعوة النبى فيما كان بين الأوس والخزرج وما بين المهاجرين والأنصار من تآخ .

والإقناع هو وسيلة الدعاة فى نشر أفكارهم ، فالداعى يدرك أنه يرى بعينيه ويسعى بقدميه ويتناول الأشياء بيديه فلماذا يفكر بعقل غيره ؟ ! قد يستعين بأفكار الغير ولكنه لا يدعها تتسلط على ذهنه ويصبح نسخة مشوهة من شخصية أخرى ولهذا كان الرسول يوجه الناس إلى الاستقلال الفكرى بقوله - ﷺ - « لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » (٣)

وليس معنى الإقناع أن ندع المتكبرين ذوى النفوذ يتسلطون على الضعفاء فهؤلاء لا ينفع معهم إقناع ولهذا كان الصديق رضى الله عنه يقول « وان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ بحقه له ، وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق » (٤). ولا يزال اسم عمر بن الخطاب يذكر معه الحزم والعدل (٥). يقول عمر « لآخذن بصماخ القوى حتى آخذ الحق منه » وقد كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى يضرب له مثلا من التعاون بين القائد والشعب يقول له « عد مرضى

---

(١) النحل ١٢٧ (٢) آل عمران ١٥٩

(٣) صحيح مسلم

(٤) الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ٢/١٢٩ ط. التحرير .

(٥) المرجع السابق ٣/١٦٠ وما بعدها .

المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وباشر أمورهم بنفسك ، فانما انت رجل منهم غير ان الله جعلك أثقلهم حملا ، وتأمل العبارة الأخيرة وهى من غرر ماتتوج به الدساتير يقول الميثاق (إن القيادات الوطنية حين تخلع جذورها من التربة الشعبية تحكم على نفسها بالذبول والموت) ص ٢٩ وذلك مصداق قول رسول الله - ﷺ - (إنما تنصرون بضعفائكم) ويذهب إلى النبى - ﷺ - (اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين) والمعنى التواضع والإخبات وألا يكون من الجبارين المتكبرين (١).

والموضوع أكبر من أن نتناوله بالتفصيل فى بحث متواضع كهذا ، وحسبنا أن نقول إن أية دعوة لكى تكون عملية تؤتى ثمارها فى النهضة والتقدم لابد أن يكون الحافز إليها معنويا لا يرتبط بالماديات الرخيصة . يقول الميثاق (وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورة ولازمة فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد) ص ٣٠.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزرى ٢/٢٨٥ ط ١٩٦٣

(الحافز الروحى)

كثيرا ما يشتبه على الإنسان الأمر فى عمل ما هل هو خير أو شر ... هل ينتظر نتيجة العمل ثم يحكم عليه ؛ فما كانت نتيجته حسنة فهو حسن وما كانت نتيجته سيئة فهو سيء ، أم ينظر إلى العمل كقيمة فى ذاته ؟

أما المعيار الثانى فلا نستطيع أن نستريح إليه تماما ؛ فبين الاقتصاد والبخل مثلا شعرة لا تكاد تبين فى نظر كثير من الناس ، والجرأة أحيانا تسمى تهورا والصدق - فى المعارك - غفلة أو خيانة ... فهذا الاختلاف فى وجهات النظر يجعلنا نتساءل من ذا الذى يقوم العمل فى ذاته ؟ ...

ولنرجع إلى المعيار الأول وهو النتيجة وهذه يراها عامة الناس المعيار الأمثل باعتبارهم يعيشون فى مجتمع لابد أن يرضى عنهم لكيلا يتهموا بالعقوق أو الشذوذ ...

وهذه النظرة قابلة للنقاش ؛ فاختراع الذرة مثلا قد يؤدى بأمة أو أمم فى لحظة مجنونة لتفجر فيها ، فهل يكون اختراعها شرا ... ؟ من المؤكد أن لا ، وإن كانت استعملت استعمالا شريراً ، كما أن رضا الناس وسخطهم على عمل ما لا ينبغى أن يؤخذ وحده فى الاعتبار . فمن المحال إرضاء الناس وهم متفاوتون فى المشارب والأخلاق يقول رسول الله - ﷺ - (ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه) . ويقول أيضا مقررا حقيقة يلمسها ذوو البصائر (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) .

ولما كانت النتائج لا تظهر إثر وقوع العمل مباشرة فإن الإنسان يظل قلقا

حتى تأتى نتيجة عمله ، وتحضرنى بالمناسبة أقصوصة رواها الفيلسوف الصينى (لى هيتز) (١).

فقد كان لرجل ابن وجواد ، وفى يوم فر الجواد هاربا فأتاه الناس يواسونه ويطيبون خاطره فقال لهم : وما أدراكم أنها نكبة ؟ ... فدهش الناس وانصرفوا ، وبعد أيام جاء الجواد ومعه كوكبة من الخيل ، فعاد الجيران يهنئونه ـ فقال لهم : وما أدراكم أنه حظ سعيد ؟ ... فانصرفوا وهم يعجبون وفى يوم تخير الابن فرسا عتيدة منها ليركبها ، فسقط فأصابه عرج شديد فعاد الجيران يقاسمون الأب أحزانه فقال الرجل: وما أدراكم أنها مصيبة ؟ فانصرفوا والحيرة تلجمهم ، وبعد عام نشبت معركة جند لها الشباب ما عدا الابن لما أصابه من عاهة فى رجله . وكانت هذه العاهة سببا فى نجاته حيث لقى الشباب حتفهم فى المعركة .

وإذا جاز لى أن أضيف شيئا إلى الأسطورة أقول إن الابن ربما أصيب بمرض شديد كان مصدر شقائه ثم مات صريع المرض بينما الشباب ماتوا شهداء فنحن لا نعرف إذن وقتا لظهور نتائج الأعمال ، كما أن العمل الواحد قد يعمله اثنان فيأتى بنتيجته خيرة لأحدهما وغير خيرة للثانى . إذن ما هو معيار العمل ؟ وأين نلتمسه ؟ ... يجيبنا عن ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ حين سأله رجل عن عمل عمله ... فقال له : « استفت قلبك » ، والقلب فى اللغة الفؤاد كما يعبر عن العقل . قال الفراء فى قوله تعالى (لمن كان له قلب) (٢) أى عقل ، والحديث فى رأيى

---

(١) فن الأدب لتوفيق الحكيم ص ٨٢ ـ المطبعة النموذجية بالحلمية

(٢) مختار الصحاح مادة : ق ل ب

يزاوج بين الاثنين معا . والإسلام فى حقيقته دعوة إلى تنقية القلب من غوائل الجشع والحسد . دعوة لأمن الناس واطمئنانهم (ألا بذكر الله تطمئن القلوب (١)، فكما يتأثر الجسم بالطعام فيصبح قوة نامية فكذلك النفس لابد لها من إشباع بتدبر القرآن (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)(٢).

وقد ورد فى شأن الاهتمام بتربية النفوس حديث عده الفقهاء رابع أربعة تدور عليها الأحكام (... ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب) (٣).

ويقرر الرسول - ﷺ - أن معيار العمل هو النية - ومحلها القلب - فيقول عليه الصلاة والسلام (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (٤).

أجل ، فما أكثر ما يكون العمل والقول شيئا والنية شيئا آخر ، يقول الله (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) (٥) ومنهم من يخطىء التصرف ودافعه حسن ، ومنهم من يبطن دافعا أسود ولكنه معجب فى ظاهره كماء فى بئر عميقة يبدو رائقا صافيا ، وفى الأغوار أعشاب وأحجار ، وهؤلاء قد نعرفهم من لفظة تند من العقل الباطن (ولتعرفنهم فى لحن القول ، والله يعلم أعمالكم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) (٦). أو من عمل صغير يقومون به مهما حاولوا كتمان ما فى نيتهم (وقد يؤتى الحذر من مأمنه) كما كانت العرب تقول .

---

(١) الرعد ٢٨ (٢) محمد ٢٤

(٣) صحيح البخارى ٢٠/١ ، فتح البارى العسقلانى ص ١٠٤

(٤) صحيح مسلم ٤٨/٦ ، البخارى ٢١/١

(٥) البقرة ٢٠٤ (٦) محمد ٣٠

فالمعيار السليم للعمل الصالح بحق هو الحوافز التى تدفع إليه ، أما الظاهر الخارجية فليست بشىء . وإدراك قيمة هذا المعيار يحقق منفعة أكيدة للانسان والمجتمع . فالعفو عن المسىء ذى النيات الطيبة - مثلا - يشيع الود والألفة بين الناس بعضهم وبعض من شأنه أن يريح الإنسان نفسا فيدفعه إلى الإقدام المخلص الحكيم ، على أنه لا ينبغى أن نبالغ فى تعمق النفوس وسبر أغوارها فالله تعالى يقول لنبيه (لست عليهم بمسيطر) (١) فما بالك بمن ليسوا أنبياء ؟ كما أن ذلك يرهق ولا يأتى بطائل فهذا خالد بن الوليد يقول عن رجل .. وقد ظن فيه نفاقا - يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال : لا ، لعله أن يكون يصلى ، فقال خالد : وكم من مصلى يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ! قال رسول الله - ﷺ - : إنى لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم (٢)، وكان عمر بن الخطاب يقول (لا تظنن بكلمة تخرج من أخيك المسلم سوءا وأنت تجد لها فى الخير محملا) .

وقد يقول قائل دعنا من سبر أغوار النفس فنحن نجد أناسا أعمالهم جلها إن لم يكن كلها باطلة عقلا ودينا ومع ذلك فهؤلاء الناس يبدون فى بلهنية ورخاء أليس هذا دليلا على أن الحياة تسير خبط عشواء ليس للعمل فيها من مقياس ولا ميزان .. أو كما يقول أبو تمام مقررا الواقع الذى يلمسه فى مدحته لمحمد بن سعيد الثغرى (٣)

لقد ساسنا هذا الزمان سياسة ... سدى لم يسسها قط عبد مجدع
تروح علينا كل يوم وتغتدى ... خطوب كأن الدهر منهن يصرع
خلت نطف منها لنكس وذو النهى ... يداف له سم من العيش منقع

---

(١) الغاشية ٢٢ (٢) صحيح البخارى ٥/٢٠٧

(٣) الديوان . تحقيق: عبده عزام ٢/ ٣٢ قطعة رقم ٩١

وبعيد عن أبي تمام أن يكون داعية إلى أن يعمل الناس بدون تدبير وتفكير ومراقبة الله ، إنما هو يرسم الواقع بأبيات من الشعر . فما تفسير هذا الواقع بالنظر إلى الأعمال والجزاء ؟ هذا هو ما أحاول الإجابة عليه بعد قليل .

حقوق وواجبات

(إن العمل الانسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق اهدافه) الميثاق

من تكامل الشخصية أن الإنسان يؤدى عليه من واجب لايستهين به ، ويطالب بما له من حقوق لا يفرط فيها على قدر مكنته . يقول رسول الله - ﷺ - (إنكم سترون بعدى أثرة وأموراً تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : أدوا إليهم حقهم ، وسلوا الله حقكم) (١).

وأول الحقوق التى تلتزم بها الدولة إزاء مواطنيها إتاحة فرص العمل المتكافئة لهم جميعاً (إن العمل فضلا عن أهميته الاقتصادية فى حياة الإنسان تأكيد للوجود الإنسانى ذاته) ، (إن العمل الإنسانى هو المفتاح الوحيد للتقدم ، إن طبيعة العصر لم تعد تقبل وسيلة للأمل غير العمل الإنسانى) هذه العبارات التى استهل بها الميثاق بابه الثامن وعنوانه « مع التطبيق الاشتراكى ومشاكله » توحى بالصلة بين العمل والاشتراكية فنحن لا نستطيع أن نتحدث عن الاشتراكية من غير أن يسوقنا الحديث إلى العمال . إذ لا تقاس عظمة الدولة بعدد الألوف المؤلفة فيها إنما بعملها وإنتاجها ، وأول ما يظهر الإنتاج وفيراً حين يحس العامل أنه حر فى بلده ، حر فى التعبير عن آرائه ، حين يحس أنه يعمل لهدف لا لأنه مسوق إلى

(١) صحيح البخارى ٩/٥٩

العمل ، يقول الميثاق (ووسيلة الديمقراطية أن تتوافر الحرية فى مراكز الانتاج جميعها لكى يتمكن جميع العاملين فيها من أن يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من أجل كمال العمل) ص ١٢١ ، ويقول أيضا (والطبقة العاملة لا يمكن أن تساق بالسخرة إلى تحقيق أهداف الإنتاج) ص ١١٨ فعمل ضخم يعتبر من مفاخر عروبتنا فى العصر الحديث كبناء السد العالى يقوم به عاملون يحسون مسئولية العمل الذى أسند إليهم ، وما كانت الدولة تستطيع أن تنهض بمثل هذا العمل لو لم تتخذ الاشتراكية نظاما لها فى الحكم إذ كيف تستطيع أن تصدر أوامر تكليف العمال والمهندسين وهم لا يحسون الصلة الوثيقة التى يحسونها اليوم بينهم وبينها ؟

ومعنى تكافؤ الفرص ألا تروج الوساطات . بل تكون موضع المذمة من الناس ولا يسعون وراءها كما كان فى الماضى إذ تشغل الوظائف بعقد المسابقات لاختيار الأصلح فالصالح ، بذلك يسعى كل إنسان إلى العمل وهو مطمئن إلى مستقبله ، وقد عانى كثير من الشباب الطموح من البطالة التى فرضها عليه فرضا عهد مضى وانقضى وكانت الحجة هى كثرة الأيدى العاملة وقلة الأعمال ، وهى حجة أثبت التخطيط الواعى ضعفها ، فالتخطيط هو الذى فتح أبواب العمل على اختلاف تنوعه الآلاف من الشباب للعمل بعد أن كانت بعض الوظائف مكتظة بالعاملين فى غير ضرورة بينما بعضها يشكو قلة الأيدى العاملة .

ومن الحقوق التى أتاحت الدولة للعمال أن ينعموا بها حقهم فى إدارة المصنع أو المؤسسة التى يعملون بها وحقهم فى الحصول على أرباحها أما الأولى فمن شأنها أن ترفع الروح المعنوية للعامل وأما الثانية فتنهض بمستواه المادى (إن العمال لم يصبحوا سلعة فى عملية الإنتاج ، وإنما أصبحت قوى العمل مالكة لعملية الإنتاج ذاتها ، شريكة فى إدارتها ، شريكة فى أرباحها تحت أو فى الأجور وأحسن الشروط من ناحية تحديد ساعات العمل) .

ومن حقوق العمال زراعيين أو صناعيين أن يكون لهم صوت مسموع فى المجال الاجتماعى والسياسى فهم بذلك أحرى أن يصونوا حقوقهم أن تمس وفى ذلك ينص الميثاق(١) على أن الدستور الجديد يجب أن يضمن للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بما فيها المجلس النيابى باعتبارهم أغلبية الشعب كما أنها الأغلبية التى طال حرمانها من حقها الأساسى فى صنع مستقبلها وتوجيهه) ص ٦٥ كما أن من حقهم فى هذا الصدد أن تكون لهم نقابات تدافع عن مصالحهم (إن تعاونيات الفلاحين فضلا عن دورها الإنتاجى هى منظمات ديمقراطية قادرة على التعرف على مشاكل الفلاحين وعلى حلولها كذلك لقد آن الوقت لكى تقوم نقابات العمال الزراعيين) (٢)

ليس هذا فحسب ، فقد عملت الثورة على تثبيت العمال فى أعمالهم لكيلا يدفعهم القلق على مصيرهم أن يسيئوا فى عملهم . وجعلت العمال الزراعيين ملاكا لا أجراء وضمنت لهم معاشا فى شيخوختهم .

كما ضمنت مستقبل أولادهم فى التعليم والعمل ، والآباء يحسون أن أبناءهم امتدادا لهم ولهذا فهم يرجون لهم مستقبلا أسعد .

وكذلك وجهت الدولة عنايتها إلى الأحداث ، والحدث هو الناشىء الصغير ذكرا أو أنثى ، ذلك أن فى مرحلة التكوين أو النمو إذا لم يحسن توجيه الحدث نشأ معتلا عقليا وصحيا ولهذا فقد خصصت الأعمال طبقا لفئات السن والقدرة على العمل ، كما منع استغلال الأحداث فى العمل ساعات إضافية من شأنها أن ترهقهم .

---

(١) كذلك نص برنامج ٣٠ مارس . (٢) الميثاق ص ٦٧

وكذلك أتاحت الثورة للمرأة أن تشارك الرجل فى أعمال كانت قصرا عليه وحده حتى تنال حقها وتؤدى واجبها فى صنع الحياة بإيجابية وعمق ، وقد رأينا أن لا بأس بذلك فى نظر الإسلام وإلا استهجن محمد - ﷺ - أن تعمل خديجة بالتجارة كما استهجن من رذائل الجاهلية ، كما أنه لا غبار على الرجل أن يساعد زوجه فى أعمال البيت ، فقد سئلت عائشة ما كان النبى يصنع فى البيت ؟ قالت : كان فى مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة (١).

تلك بعض حقوق العمال تتلخص فى كلمة واحدة هى إتاحة الفرص المتكافئة للجميع وهو مبدأ إسلامى عريق ، فقد كان الخلفاء الراشدون يتوعدون ولاتهم إذا طبقوا شطر الشريعة الإسلامية بقطع يد السارق مع إغفالهم الشطر الثانى وهو توفير العيش الكريم أولا للناس .

وعن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر غير أهله فانتظر الساعة (٢).

الواجبات : ويعتبر فى مقدمة الواجبات أيضا العمل لا الأمانى والأحلام (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجزبه ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) (٣) فالعامل يعمل مستهدفا المصلحة العامة ، وهيهات أن يتحقق له هدف بغير العمل المنظم والأمين :

ويكون تنظيم العمل بتخصيص المكان المناسب للعمل وأدواته حتى يؤدى

---

(١) صحيح البخارى ٧/٨٥ ، ٨ - ١٧ (٢) صحيح البخارى ٨/١٢٩
(٣) النساء ١٢٣ .

أكمل أداء وفى أقل وقت (١) ، ومن الأمانة ألا يسرف العامل فى استعمال خامات العمل غير عابىء بما يجره ذلك من (إهدار لثروة الشعب التى هى وقود معركة التطور) . وإذا كان تضييع الأشياء بالإسراف ممكنا تعويضه فإن الإسراف فى الوقت أشد خطرا فهو فى ذلك خروج على مقتضى الواجب وخيانة للتاريخ الذى يسجل نهضتنا بأحرف من نور . يقول الميثاق :

(والإسراف يشمل التضخم فى مصاريف الإنتاج التى لا مبرر لها ، كما أنه يشمل فى الوقت ذاته عدم تقرير المسئولية فى دراسة المشروعات الجديدة ، ويمتد إلى الإهمال فى التنفيذ بدون اليقظة الواجبة لسلامة العمل) .

والأمانة تحتم على العامل ألا يتهاون فى عمله لكسب شخصى ينتظره بطريق غير مشروع والأمانة أسس مكارم الأخلاق التى يجب أن يتحلى بها العاملون ، ولهذا كان الرسل يشيدون بها ويحثون عليها ويدعون إليها ، يقول النبى - ﷺ - : الخازن الأمين الذى يؤدى ما أمر به طيبة نفسه أحد المتصدقين (٢).

ومن واجبات النقابات تشجيع العامل على رفع الكفاية الفكرية والفنية والإنتاجية بالتدريب على العمل الصحيح والإخلاص فيه. ومن الواجبات المقدسة ألا يضن العامل بعمل يقدر عليه ، فما سئل النبى - ﷺ - عن شىء قط فقال لا (٣) فإذا لم يقدر على عمل ما فما أيسر على كريم الخلق أن يعتذر بتأدب وابتسامة لا تخجل المحتاج ، يقول رسول الله - ﷺ - « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق (٤).

---

(١) عن جابر - رضى الله عنه - قال لى النبى - ﷺ - أذهب فصنف تمرك أصنافا ، العجوة على حدة وعذق زيد على حدة ثم أرسل إلى ففعلت ...

(٢) صحيح البخارى ٣/١٠٥

(٣) صحيح البخارى ٨/١٦

(٤) ويقول أيضا « إن خياركم أحاسنكم أخلاقا » صحيح البخارى ٨/١٦

وعن أنس بن مالك : لم يكن النبي - ﷺ - سبابا ولا فحاشا ولا لعانا ، كان يقول لأحدنا عند المعتبة : ماله ترب جبينه ! (١)

وهكذا يحرص الإسلام على أن يكون المسلم مشرقا بساما ، نظيفا فى خلقه كما هو نظيف فى ملبسه وهيئته (٢).

فإذا لم يكن للعاملين وازع من أنفسهم يدفعهم إلى التفانى والإخلاص فإن رقابة الشعب ومسئوليته كفيلة بوضع الأمور فى نصابها ، فإذا تهاون كل منهم فى حقه وقبل أن تمتد إليه يد الظلم فلا يلومن إلا نفسه .

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت عليه فلا يحزن إذا ضاع مجده

فليس يرضى الحر ظلما يقع عليه أو يراه وقد قال النبي - ﷺ - (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يارسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تأخذ فوق يديه) (٣).

---

(١) صحيح البخارى ١٥/٨

(٢) من الأسف أن يغفل بعض العاملين عن النظافة ورسول الله - ﷺ - يقول : حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده صحيح البخارى ٧/٢

وعن عروة قال : قالت عائشة - رضى الله عنها - كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم ، وكان يكون لهم أرواح فقيل لهم : لو اغتسلتم ! صحيح البخارى ٧٤/٣

(٣) صحيح البخارى ١٦٨/٣

(الجزاء)

(إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما)

النساء ٤٠

يقول الله دفعا لما يتوهمه المتوهمون على النحو الذى ذكرناه منذ قليل (١) (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنـــين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) (٢) فقد شاءت حكمة الله أن يهيء لبعض الناس من مظاهر النعمة الكثير ، بينما يقدر على بعض الناس أرزاقهم لكي يختبرهم صابرين شاكرين أم جزعين كافرين ، فأما المؤمنون فصابرون ، يخوفهم أناس بأن الناس قد جمعوا لهم ليخشوهم فيزدادوا إيمانا ولا يركنون ذلة وانكسارا يقول الله (لتبلون فى أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (٣) فتكون الجنة مأواهم (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) (٤)، ويقول سبحانه (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) (٥)، الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (٦) أما الكافرون فيهم يقول الله (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) (٧) ويقول أيضا (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) (٨).

---

(١) تراجع ص ٩٢ من هذا البحث
(٢) المؤمنون ٥٥ ، ٥٦
(٣) آل عمران ١٨٦
(٤) الانعام ١٢٧
(٥) الأعراف ٤٣
(٦) النحل ٣٢
(٧) آل عمران ٩٦ ، ١٩٧
(٨) آل عمران ١٧٨

هل معنى تلك الآيات أن الجزاء يقع فى الآخرة وحسب ؟ من المعروف أن الله رب الدنيا ورب الآخرة وللانسان حياة فى الدنيا والآخرة ، فمنطقى أن يكون الجزاء أيضا فى الجانبين ، ففى شأن المخالفين عن أوامره ونواهيه يقول الله (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) (١) ويقول أيضا سبحانه فى شأن المتقين (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) (٢) ويمتاز الجزاء الإلهى بميزات منها :

(١) لكل حسب عمله مع كثير من الرحمة .

(٢) النظرة إلى النيات (٣) الجزاء من جنس العمل .

(١) فالميزة الأولى يقتضيها الواقع الحى وظروف الإنسان وما ألم به من حوادث وجهود كل إنسان (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما)(٣)ويقول أيضا (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ...) (٤) ويقول سبحانه (ولكل درجات مما عملوا ، وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) (٥).

وليس ثمة تفرقة بين رجل وامرأة (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) . (٦)، (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (٧) ..

---

(١) التوبة ٦٩ (٢) النحل ٣٠ (٣) النساء ٩٥

(٤) النور ٦١ (٥) الأحقاف ١٩ (٦) النساء ١٢٤

(٧) آل عمران ١٩٥

ومقتضى العدل أن ينظر إلى العمل نفسه في غير وساطة ، حتى الأنبياء لا تغني نبوتهم عن أبنائهم شيئا واقرأ قصة إبراهيم وأبيه قال تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال : ومن ذريتي ؟ قال لا ينال عهدي الظالمين) (١) وقد دعا نوح بعاطفة الأبوة أن ينجي الله ابنه (قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) (٢).

أما الرحمة فهي الميزة التي يتصف بها الكبير في معاملته مع من هو أصغر منه ، فما بالك بالخالق مع المخلوق ؟ ... فالرحمة هي الصفة الغالبة على المولى سبحانه وتعالى أما الانتقام فهذه صفة عارضة - إن صح هذا التعبير - قال الله (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال: عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) (٣).

ومن الحديث (جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وأنزل في الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) (٤).

وآيات التوبة وأحاديثها أكثر من أن تحصى حتى لتكاد تغري بالمعصية لكي يستمتع الخاطىء بغفران الله ، ففي حديث قدسي (إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة ، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فان عملها فاكتبوها عشرا) (٥) .

---

(١) البقرة ١٢٤ (٢) هود ٤٦ (٣) الأعراف ١٥٦

(٤) صحيح البخاري ٨/٩ (٥) صحيح مسلم ٢٠٢/١، البخاري ١٢٨/٨

٢ - النظر إلى النيات : لما كانت النية شيئا يختص بمعرفته المعرفة الواسعة الدقيقة الله وحده دون سائر الناس، إذ تقتصر معرفة الناس على الأعمال الظاهرة والكلمات المسموعة وبعض النية أو الدافع وراء الأعمال والأقوال ، فإن الله لا يحاسب إلا على النية ، إذ قد تكون نية المرء سليمة وتضطره ظروفه أو تفكيره أن يخطىء في العمل فإذا كانت النية متجهة إلى الله جازى بها سبحانه خير الجزاء، وإذا كانت متجهة إلى إرضاء الناس فحسب على حساب القيم والمثل الشريفة فليأخذ جزاءه من الناس - إن استطاع - في الدنيا ، أما في الآخرة فيحدثنا رسول الله - ﷺ - (أن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت القرآن ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه قال : فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار) (١).

والردود الكاذبة التى صدرت من المرائين كما فى الحديث ليس لها دلالة - فى نظرى - سوى التعبير عن أمنيتهم - وقد انتهى الأمر - فى أن يكون ماعملوه فى الدنيا خالصا لله وحده ، فهم يعرفون أنهم بين يدى الله يحاسبون إلا إذا كان

---

(١) صحيح مسلم ٦/٤٧

بلغ السفه بهم أن يوالوا كذبهم على الله سبحانه قولا كما كذبوا على الناس قولا وعملا !

إن الجزاء الأخروى يكون على قدر العمل وما يصحبه من نية وما يدعمه من إيمان بكل ماتحمله هذه العبارة من معنى يقول رسول الله - ﷺ - (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : لأنه كان حريصا على قتل صاحبه) (١).

٣ - **الجزاء من جنس العمل** : وهو أشد أثراً فى النفس عما إذا كان الجزاء بعيدا عن نوع العمل حيث يكون الندم بالغا لأن المرء قد اختار العمل بنفسه، يقول رسول الله - ﷺ - (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة إلى أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) (٢) ، (من تتبع عورات الناس تتبع الله عورته ولو فى عقر داره) فإذا تاب كانت توبته صادقة لأنه جرب أثر عمله فى نفسه .

العبرة بخواتيم الاعمال :

ولما كان آخر ما يعمله المرء فى حياته يمثل أعلى مراحل نضجه الفكرى والوجدانى فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يقع الجزاء فى الآخرة على قدر خواتيم الأعمال كما يحكى رسول الله عن رجل أنه من أهل النار ، غير أن الناس شهدوا هذا الرجل فى خيبر يقاتل قتالا حاميا وكثرت به الجراح فجاء رجل من الصحابة

(١) صحيح البخارى ١/١٠٥ ، مسلم ١٧/٨

(٢) صحيح البخارى ٣/١٦٨ ، مسلم ٢١/٨

يقول : يا رسول الله أرأيت الذى تحدثت أنه من أهل النار فكاد بعض المسلمين يرتاب ، فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانته فانتزع منها سهما فانتحر بها فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا : يارسول الله صدق الله حديثك قد انتحر فلان ، فقال رسول الله - ﷺ - يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [١] ويقول عليه الصلاة والسلام : (... فان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ... [٢]

عاقبة الامم الظالمة :

إذا كان الجزاء يقع على الفرد وحده على ما رأيناه فانه قد يقع فى الدنيا شاملا أمة بأكملها لأنهم لم يتناصحوا فيما بينهم ، وقد ترك كل إنسان أخاه وشأنه فى غير تكاتف أو تعاون على الخير والتقوى ، يقول الله : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) [٣] وقال - ﷺ - حين سألته زوجته زينب أنهلك وفينا الصالحون ؟ ... قال نعم إذا كثر الخبث [٤].

على ألا يعدو الجزاء أمة أخرى كانت تعمل على رفعة شأنها (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ، إنه لا يفلح الظالمون) [٥] ويقول سبحانه (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) [٦] . ومن هذه الأمم فرعون وآله ، وقوم نوح ، وعاد ، وثمود وقوم لوط ... وغيرها لم يبق من تاريخها غير العبرة للأمم المعاصرة لكى تنصرف إلى عملها الجاد .

---

(١) صحيح البخارى ١٥٥/٨ — (٢) البخارى ١٦١/٤
(٣) الانفال ٢٥ — (٤) صحيح البخارى ٢٤١/٤
(٥) الانعام ١٣٥ — (٦) البقرة ١٣٤ ، ١٤١

خاتمـــة

وبعد ، فلعل رسالتى هذه قد حققت شيئا مما قصدت إليه ، فقد دفعنى إليها شغف بالدراسات الإسلامية من جهة ، ورغبة تدفع الكاتب إلى أن تنشأ بين القارىء وبينه صلة فى موضوع ما يصادف فى نفسيهما هوى ومودة .

٢ — وليس من ريب فى أن موضوعا يربط بين الاشتراكية المعاصرة والإسلام العريق لهو من خير الموضوعات التى يسعى المواطن المسلم إلى معرفتها لكى يطمئن نفسا إلى أن دينه فى خير فى ظل زعامة نرجو أن يكون التوفيق حليفها بما تنهل من معين الإسلام فى أصوله الأولى .

٣ — وإذا كان الميثاق الوطنى قد قرر حقوقا وحدد واجبات ورسم خطة العمل الثورى فإنه يعتبر ذروة التطور لما سبقه من مواثيق وعهود تقرر حقوق الإنسان مثل العهد الأعظم سنة ١٢١٥م الذى حرره الأساقفة والبارونات الإنجليز واضطر الملك جون إلى توقيعها وإذاعتها ، وبعد قرون تبعتها وثيقـــة أخرى سنة ١٦٨٩م تقرر مسئولية الملك أمام البرلمان ضربا بما كان يعتقد يوما من الحق الإلهى للملوك . ثم صدرت وثيقة أمريكية سنة ١٧٧٦ كانت أساسا للدستور الأمريكى غداة الاستقلال . وبقيـــام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ صدر إعلان حقوق الإنسان مقررا أن الشعب مصدر السلطات وأن الناس يولدون أحرارا فلماذا الاستعباد ؟

وفى ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨ أقرت الجمعية العامة بهيئة الأمم المتحدة وثيقة صاغتها لجنة حقوق الإنسان مقررة الحقوق الأصلية التى يتمتع بها الإنسان من حيث هو إنسان فى كل مكان ، وأولها حرية التعبير والعمل والمساواة بين الناس.

بيد أن الملحوظ فى هذه الوثيقة أن ليس لها قوة ملزمة للحاكمين ، فإن لم يكن لهم وازع من أنفسهم ومبادئهم التى ارتضوها من روح الدين فإنه ليس فى حكمهم غناء بل يكون هو الفوضى عينها . والميثاق الوطنى وقد أقره الشعب فى ٢١ من مايو سنة ١٩٦٢ لابد أن يحميه الشعب بالعمل بمبادئه والاحتجاج بها أمام الحاكمين والرؤساء .

٤ — ولست أريد أن أكرر ما تناولت فى الرسالة ولكن حسبى أن أسوق مثلا أخرى تؤكد أهم معانى البحث ؛ فإذا كان العمل قيمة من قيمنا الروحية لا سبيل إلى إنكارها فإن تنظيم العمل ورسم الحدود التى يسير عليها واجب ينبغى ألا تطيح به نزوات البشر وأطماعهم ، فها هو حنظلة بن قيس الأنصارى يقول: سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق فقال : لا بأس به ، إنما كان الناس يؤجرون على عهد النبى على الماذيانات وأقبال الجداول وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك هذا فلم يكن للناس كراء إلا هذا فلذلك زجر عنه ، فأما شىء معلوم مضمون فلا بأس به » (١).

فمن الحديث وغيره كثير يتبين أن الإسلام ينهى أشد النهى عن الاستغلال والسخرة اعتماداً على ما تجرى به الأقدار فى تواكل ذميم . من أجل هذا أخذت ثورتنا المباركة فى نصب عينها مشكلات الفلاح وقلمت أظافر الإقطاع فلا يستطيع إقطاعى إفسادا فى الأرض أو استغلالا لزراعها .

٥ — وقد رأينا أن الخلفاء الراشدين مقتدين بعلم الإنسانية الأكبر ينقدون

---

(١) صحيح مسلم ٥/٢٤ - الورق ، المال من الدراهم والإبل ، الماذيانات : كلمة معربة بمعنى مسايل الماء أو ما ينبت حول السواقى ، وأقبال الجداول أى رؤوسها .

ذواتهم وأعمالهم إذا تبين لهم الصواب دون أن يركبهم سفه أو شطط ، وهكذا يقرر الميثاق الوطنى بعد أن أصبحنا فى حاجة ماسة بحق إلى النقد ، والنقد الذاتى خاصة .

فمن المؤلم أن توقع على عامل عقوبة ما - ولو بمجرد لفت نظره إلى عدم العود - لأنه وجه انتقادا إلى أحد رؤسائه أو إلى مصلحته التى يعمل فيها ؛ فالإسلام لا يعرف الحجر على عقول الناس وأفكارهم ويأبى أشد الإباء أن تحبس كلماتهم فى صدورهم خوفا وفرقا .

٦ - وإذا كان قانون العاملين الصادر فى ١١ فبراير سنة ١٩٦٤ يعمل على زيادة المعاشات بإلغاء إعانة الغلاء وضمها إلى رواتب العاملين (١) فإننا نرى هذا المبدأ مطبقا كأجمل مايكون التطبيق فى عهد الخليفة العادل عمر الفاروق ، فقد راع عمر أن يرى شيخا هرما لا يقدر على عمل تفيد منه الدولة ، فيحس عمر المسئولية كأنها الجبل على كاهله فيقول : أكلنا شبيبته ، ويأمر ولاته وعماله بأن يرزقوه من بيت المال ، واتخذ ذلك سنة لكل ذمى فى دار الإسلام وقال أيضا : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لاتخذت من فضول أموال الأغنياء للفقراء .

٧ - وحق المرأة فى العمل خارج بيتها أمر تقتضيه الأحوال فى بعض الأحيان ، ولا يتنافى مع الإسلام ، ولقد كان القانون المنبثق عن الميثاق كريما مع المرأة العاملة فقرر لها أجازة شهرا - فضلا عن الأجازات الأخرى - للحمل والوضع تتقاضى فيه راتبها كاملا (٢) جريا على مبدأ العمل على قدر الطاقة كما يقول سيدنا رسول الله - ﷺ - (عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله مادووم عليه وإن قل) (٣).

(٢،١) صدرت بعد الطبعة الأولى من (العمل فى الإسلام) قوانين أخرى تستهدف إرضاء العاملين .

(٣) صحيح مسلم ١٨٩/٢ ، البخارى ١٤/١ ، ١٧ و ٦٨/٢ و ١٩/٨ ، ١٢٢

فقد خبرت من رؤساء الأعمال من يطلبون من العامل فوق ما يطيق ولا يسمحون له بشيء من الإجازة إلا بشق النفس ظنا منهم أن ذلك من مصلحة العمل فلا تكون النتيجة إلا عملا غير متقن ، وسخطا يصبه العامل على رؤسائه وربما على جمهور المتعاملين معه أيضا .

إن الراحة حق تقرره الإنسانية والأديان السماوية قبل القوانين الوضعية ولا ينبغي أن يؤذى عامل من أجل طلبها - لا سيما إذا كانت الأجازة من العمل تهيء له الجو الملائم للذاكرة والدرس - بحجة أن حالة العمل لا تسمح بذلك إذ الادارة الحكيمة لا يعييها غياب أحد العاملين .

٨ - إن المرونة والتعاون مع زملاء العمل كفيلان برفع الكفاية الإنتاجية إذا ما خلصت النية وصدق العزم لا خوفا من الرؤساء وإنما إحساسا عميقا برقابة الله وحده فى السر والعلن ، فالله موجود وإن لم يعجل بالعذاب (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (١) . إنه تبارك وتعالى يعطى الفرص لتصحيح الأخطاء والإنابة إليه جل شأنه (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (٢).

٩ — تلك بعض المعانى التى أحبها تنغرس فى نفسى ونفس صديقى القارىء لم أعمد إلى الإطالة فى سردها احتراما لوقت القراء فى عصر السرعة ، وإيماناً منى بأن الاشتراكية من الموضوعات التى لا تتطلب من المرء قراءات واسعة بقدر ما تتطلب منه قلبا متفتحا ، وإنى لأذكر أن أحد كبار المسئولين فى وزارة التعليم

---

(١) النحل ٦١ (٢) النحل ١١٩

العالى وقف فى أحد اجتماعات التوعية القومية فتعثر لسانه ولم يستطع أن يقول ما يتوقع من مسئول مثله عن الاشتراكية فتصدت له أقلام الصحافة تهاجمه بعنف، ولكن كثيرا من القراء قد يتعجبون إذ يعرفون أن تلاميذ هذا المسئول وأصدقاءه أكدوا بالكلمة الأمينة أن صاحبنا - فيما لمسوه منه فى الجامعة وخارجها - اشتراكى السلوك والعمل.

إن « العمل فى الإسلام » خير من كثير الكلام فى غير طائل ، والبحث الموجز قطعة من السكر تحس مذاقها الحلو إذا وضعتها فى إناء صغير ولكنك تفتقد مذاقها إذا وضعت فى طست !

المصــــادر

(١) سيرة النبى (٤ أجزاء)

لأبى محمد عبد الملك بن هشام - دار التحرير للطبع والنشر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م

(٢) صحيح البخارى (٩ أجزاء)

لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ... مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ

(٣) صحيح مسلم (٨ أجزاء)

لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى .

دار التحرير للطبع والنشر ١٣٨٤ هـ .

(٤) العهد القديم والعهد الجديد

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

محمد فؤاد عبد الباقى - مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ

(٦) الميثاق الوطنى .

محتويـــات الـكتاب

صفحة الموضوع

إهـــداء
٥ تقديم للأستاذ الدكتور حسن ظاظا
٨ مقـــدمة

المبحث الأول

هل الإسلام دين العمل

١٠ الدين والحياة
١٢ الحياة والعمل
١٥ العمل والطبقات المستغلة
١٨ وظيفة المال
١٩ حاجتنا إلى العدالة الاجتماعية

المبحث الثانى

الإيمان والعمـــل

١٦ الإيمان بالله
٢٨ لمن يكون الإيمان ؟
٣١ التقوى والإيمان
٣٣ ثمرة الإيمان

المبحث الثالث

المسلمون بين التقـدم والتخلف

٢٧ توطئـــة

صفحة الموضوع

٢٩ (١) الغيبيات .
٣٩ الإيمان بالملائكة
٤٢ اليوم الآخر
٤٣ القضاء والقدر
٤٦ (٢) العبادة والعمل
٤٨ (٣) التوكل والتواكل
٥٠ (٤) البطـــالة
٥٣ وقت الفراغ
٥٥ التنافس
٥٧ (٥) المرأة والعمل
٦٢ (٦) العمل الصالح
٦٩ (٧) الهجرة

المبحث الرابع

العمل وأسس النجاح

٧٢ مفهوم العمل
٧٤ أسرار النجاح فى العمل
٧٧ العمل الثورى
٧٨ النقد الذاتى
٧٩ العمل الفكرى

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٨٠	العمل والشباب	٩٦	الواجبات
٨٣	الدعاة والعمل	٩٩	الجزاء
٨٤	موقف الناس من الدعوات	١٠٣	العبرة بخواتيم الأعمال
٨٥	شخصية الداعى	١٠٤	عاقبة الأمم الظالمة
٨٩	الحافز الروحى	١٠٥	الخاتمـــة
٩١	الأعمال بالنيات	١١٠	المصادر
٩٣	حقوق وواجبات		

مطبوعات للمؤلف

١، الادب فى حماسة أبى تمام
٢، أساليب النفى فى القرآن
٣، العمل فى الإســلام
٤، العقاد : الرجل والقلم
٥، خطرات فى الدين والنفس

٦، صور من حياة
٧، لقطـــات
٨، رحلات (خارج القطر)
٩، يوسف فى القرآن
١٠، فى رحاب القرآن (تفسير)
١١، ابن القيم من آثاره العلمية
١٢، ابن القيم اللغوى
١٣، الشواهد النحوية
١٤، القيادة وفعاليتها فى ضوء الاسلام
٥ ، القيم الخلقية فى الاسلام

- تحت الطبع -

١٦، ابراهيم ناجى من شعره
١٧، اسماعيل صبرى شيخ الشعراء
١٨، سواء فى كلمات وخواطر أخرى

رقم الايداع بدار الكتب القومية ٨١/٣١٥٠
الترقيم الدولى ٩٧٧ - ISBN